

ت في الفرق

الصوفية

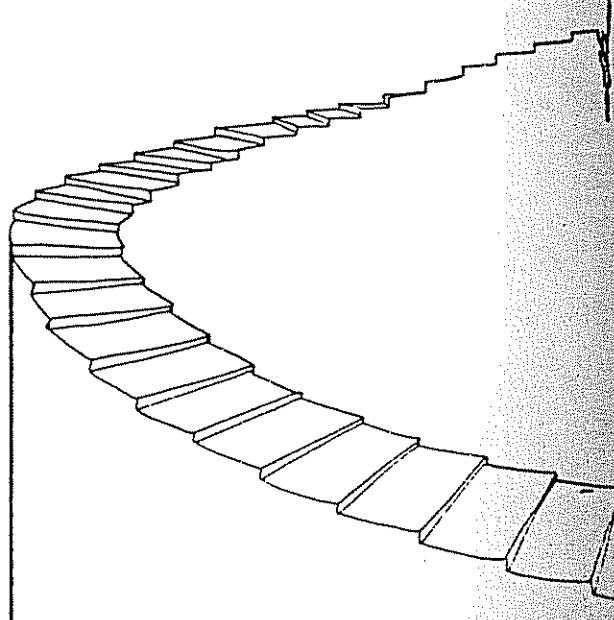
ح مس

نشأتها وتطورها

تأليف

طارق عبد الرحيم

محمود العبد



مقدمة الطبعة الثانية

رغم إلى أخ صديق في أن يعيد طباعه هذا الكتاب لما وجد من مسيس الحاجة إلى أن تنتشر مادته بين الناس ، خاصه في هذه البلاد التي أراد الله لنا أن نقضى بها روحًا من الزمان يطول ببعضنا ، ويقصر ببعضنا الآخر.

وقد علمت من أمر الصوفيه ما علمت ، سواء عن طريق ما كتب عنهم ، وما كتبت أقطابهم عنها ، أو عن طريق الممارسه العملية التي ولدها الإحتكاك ببعض رؤوسهم في بلادنا خلال الثلاثين عاماً التي إنصرمت أو كادت.

ويشهد الله سبحانه أنه ما سرت بما علمت ، ولا رضيت بما رأيت وعاشرت . فاللقوم أبعد ما يكون عن إتباع السنة المطهرة ، التي ليها كنهاها ، والتي لا يزبغ عنها إلا هالك ، كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والناس يخطئون ويصيرون ، فالخطأ وارد على بنى آدم ، ولكن القوم ضلوا وأضلوا وما أدرى ما دهفهم ! أما علموا أن البدعه لا تودي ب أصحابها إلا إلى النار !

أما قرؤوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" رواه مسلم . قال الشاطبي " وهذا الحديث عده العلماء ثلث الإسلام ، لأنه جمع وجوه المخالفه لأمره عليه السلام . ويستوى في ذلك ما كان بدعه أو معصيه " اعتقاد - ٦٨

أما سمعوا قول حذيفه بن اليمان رضي الله عنه حين أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر وسأل أصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا : يا أبا عبد الله ما نرى بينهما من النور إلا قليلا . قال : والذي نفسي بيده لتنظر

جمعـيـه كـذـا وـكـذـا أو إـمـامـيـه كـذـا وـكـذـا ... دـوـنـ وـجـهـ حـقـ .. أـلـاـ
يـتـقـيـ اللـهـ أـمـثـالـ هـؤـلـاءـ، وـيـتـحـرـونـ الرـشـدـ فـىـ النـصـيـحـةـ لـمـسـلـمـيـنـ
!! أـلـيـسـ مـنـ وـاجـبـهـ أـنـ لـاـ يـسـلـمـواـ أـمـانـهـ الـكـلـمـةـ التـىـ تـقـلـدـوـهـاـ إـلـاـ
لـمـنـ هـوـ مـتـبـعـ لـلـسـنـةـ الصـحـيـحـةـ، بـعـدـ عـنـ الـبـدـعـهـ وـضـلـالـاهـ.
أـمـ تـرـاـهـاـ الـمـصـلـحـةـ الـمـادـيـةـ التـىـ تـجـعـلـ أـمـرـ الدـنـيـاـ لـدـىـ بـعـضـ
هـؤـلـاءـ الـمـنـغـمـسـيـنـ فـىـ الـعـلـمـ الـإـسـلـامـيـ مـرـتـبـ إـرـتـبـاطـاـ وـثـيـقاـ
بـمـوـقـعـهـ الـدـيـنـيـ وـقـوـةـ سـيـطـرـتـهـ عـلـىـ الـعـوـامـ، وـعـلـىـ الـمـرـاـكـزـ
وـالـجـمـعـيـاتـ إـسـلـامـيـهـ.. أـمـ هـىـ خـلـيـطـ مـنـ كـلـيـهـاـ ؟؟
أـلـاـ أـنـ الـحـقـ أـحـقـ أـنـ يـتـبـعـ .. وـوـالـلـهـ إـنـ تـرـكـنـاـ أـمـرـ دـيـنـاـ لـمـنـ
لـيـسـ أـهـلـ لـذـاكـ لـنـنـدـمـ نـدـمـاـ شـدـيدـاـ حـيـثـ لـاـ يـنـفـعـ التـدـمـ. إـنـ أـمـثـالـ
هـؤـلـاءـ الـمـنـصـوـفـهـ يـدـعـونـ إـلـىـ أـمـثـالـ مـحـىـ الـدـيـنـ بـنـ عـرـبـيـ الشـيـخـ
، الـقـائـلـ يـوـحـدـ الـوـجـودـ جـهـارـاـ نـهـارـاـ عـلـىـ رـفـوـسـ الـأـشـهـادـ.
يـقـولـ هـذـاـ الزـائـغـ فـىـ وـصـفـهـ لـمـرـتـبـهـ "ـجـمـعـ"ـ أـىـ الـاجـتمـاعـ بـالـلـهـ
وـإـتـحـادـ الـوـاجـدـ يـهـ سـبـحـانـهـ ..

لـهـ صـلـاتـيـ بـالـمـقـامـ أـقـيمـهـاـ
وـأـشـهـدـ أـنـهـ لـىـ صـلـيـتـ
كـلـاـنـاـ مـصـلـ وـعـابـدـ سـاجـدـ إـلـىـ
حـقـيـقـهـ الـجـمـعـ فـىـ كـلـ سـجـدـةـ

فـنـفـسـهـ تـصـلـىـ لـنـفـسـهـ وـهـ يـسـجـدـ لـذـاتـهـ إـذـ هـىـ مـتـحـدـةـ بـالـلـهـ
سـبـحـانـهـ . وـيـقـولـ شـارـحـ شـعـرـهـ فـىـ الـحـدـيـثـ عـنـ مـرـتـبـهـ "ـصـحـوـ"
وـالـمـحـوـ : "ـفـالـجـوـدـ - لـدـىـ إـبـنـ عـرـبـيـ"ـ وـاحـدـ ، وـلـيـسـ هـنـاكـ
زـمـانـ ، أـوـ سـابـقـ ذـوـاتـ ، أـوـ إـخـتـلـافـ أـدـيـانـ ، أـوـ أـنـاـ وـأـنـتـ وـهـوـ،
بـلـ روـحـ وـاحـدـهـ هـىـ حـقـيـقـةـ الـحـقـائـقـ التـىـ تـنـجـلـىـ مـخـتـافـهـ فـىـ
الـوـجـودـ الـحـسـىـ.

فـفـيـ الصـحـوـ بـعـدـ الـمـحـوـ لـمـ أـكـ غـيرـهـ
وـذـاتـيـ بـذـاتـيـ إـذـ تـحـلـتـ تـجـلتـ
وـأـمـثـالـ هـذـاـ الـمـرـوـقـ مـنـ الـدـيـنـ لـدـىـ الـحـلـاجـ وـأـبـيـ يـزـيدـ الـبـسـطـامـيـ
وـأـتـبـاعـهـ وـأـمـثـالـهـ مـنـ الـقـدـمـاءـ وـالـمـحـدـثـيـنـ وـحـسـبـكـ

مـنـ الـبـدـعـ حـتـىـ لـاـ يـرـيـ مـاـ بـيـنـ هـذـيـنـ الـحـجـرـيـنـ
مـنـ النـورـ، وـالـلـهـ لـتـفـشـونـ الـبـدـعـ حـتـىـ إـذـ تـرـكـنـاـ شـئـ قـالـواـ
تـرـكـتـ السـنـةـ. وـقـولـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـسـعـودـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ، إـتـبـعـواـ
أـشـارـنـاـ وـلـاـ تـبـتـدـعـواـ فـقـدـ كـفـيـتـمـ.

وـالـقـولـ فـىـ الـبـدـعـهـ وـأـشـارـهـ يـطـوـلـ. إـلـاـ أـنـىـ قـصـدتـ إـلـىـ التـنـبـيـهـ
عـلـىـ مـاـ هـوـ دـاـئـرـ فـىـ هـذـهـ الـأـوـنـهـ، وـفـىـ هـذـهـ الـبـلـادـ مـنـ ظـواـهـرـ
تـمـجـيـدـ بـعـضـ مـدـعـىـ التـدـيـنـ مـنـ الصـوـفـيـهـ، الـذـيـنـ يـأـتـونـ مـنـ أـنـحـاءـ
الـبـلـادـ إـسـلـامـيـهـ حـامـلـيـ جـرـاثـيـمـ التـصـوـفـ يـنـقـلـوـنـهـ إـلـىـ الـعـوـامـ
مـنـ النـاسـ. وـالـعـجـيبـ مـنـ أـمـرـ هـؤـلـاءـ النـاسـ أـنـ مـنـهـمـ يـدـعـيـ
الـإـنـتـسـابـ إـلـىـ سـنـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، بـلـ مـنـهـمـ
مـنـ يـعـتـلـىـ الـمـنـابـرـ خـطـيـبـاـ بـاـسـمـ جـمـعـيـاتـ إـلـىـ جـمـعـاتـ إـسـلـامـيـهـ
وـمـنـهـمـ مـنـ هـوـ مـقـدـمـ لـدـىـ الـمـسـلـمـيـنـ فـىـ هـذـهـ الـبـلـادـ، ثـمـ إـذـ هـوـ
إـمـاـ مـنـتـسـبـ إـلـىـ التـصـوـفـ أـوـ مـتـسـاهـلـ فـىـ أـمـرـ الـمـنـصـوـفـ،
يـقـدـمـهـمـ إـلـىـ النـاسـ - بـاـسـمـ تـوـحـيـدـ الـصـفـوـفـ - عـلـىـ أـنـهـمـ مـنـ
الـمـسـلـمـيـنـ الـدـعـاهـ إـلـىـ اللـهـ.. أـمـاـ عـرـفـ أـمـثـالـ هـؤـلـاءـ الـمـنـتـهـاـوـنـينـ
فـىـ أـمـرـ الـدـيـنـ أـنـ "ـمـنـ أـتـىـ صـاحـبـ بـدـعـهـ لـيـوـقـرـهـ فـقـدـ أـعـانـ عـلـىـ
هـدـمـ إـسـلـامـ"ـ كـمـاـ قـالـتـ عـائـشـهـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ!

كـيـفـ سـمـحـ أـمـثـالـ هـؤـلـاءـ الـمـقـدـمـوـنـ بـيـنـ النـاسـ، الـذـيـنـ حـمـلـوـ
أـمـاتـهـ إـعـتـلـاءـ الـمـنـابـرـ، وـقـيـادـهـ تـجـمـعـاتـ الـمـسـلـمـيـنـ فـىـ هـذـهـ الـبـلـادـ
تـىـ لـاـ يـعـرـفـ أـهـلـهاـ مـنـ أـمـرـ دـيـنـهـمـ إـلـاـ مـنـ خـلـالـ مـاـ يـلـقـىـ عـلـيـهـمـ
مـنـ فـوـقـ هـذـهـ الـمـنـابـرـ، كـيـفـ سـمـحـ هـؤـلـاءـ لـأـنـفـسـهـمـ أـنـ يـقـدـمـوـنـ
ضـلـ وـابـتـدـعـ لـيـخـاطـبـ النـاسـ وـيـزـيـفـ عـلـيـهـمـ دـيـنـهـمـ، وـيـخـرـجـهـمـ
عـنـ الـصـرـاطـ السـوـىـ !!

أـنـرـاءـ الـجـهـلـ... جـهـلـ أـمـثـالـنـاـ مـنـ الـعـالـمـةـ الـذـيـنـ قـدـلـوـاـ هـؤـلـاءـ
الـقـوـمـ أـمـرـ دـيـنـهـمـ دـوـنـ أـنـ يـتـحـقـقـوـاـ مـنـ صـحـهـ عـلـيـهـمـ وـقـوـةـ
مـعـرـفـتـهـمـ، وـصـدـقـ إـخـلـاصـهـمـ لـدـىـ اللـهـ، وـجـهـلـ هـؤـلـاءـ الـقـادـةـ
وـالـأـمـمـ أـىـ وـالـلـهـ يـصـفـوـنـهـ بـلـفـظـ الـإـمـامـ أـوـ الـشـيـخـ !! الـذـيـنـ
تـقـلـدـوـنـاـ تـلـكـ الـمـنـاصـبـ وـحـازـوـنـاـ تـلـكـ الـأـلـقـابـ وـالـمـرـاـكـزـ - رـئـيـسـ

باتباعهم من المحدثين الذين يلتمسون مقامات الأولياء ليأخذوا
الإذن بطبعه كتبهم - إقرأ مقدمة كتاب "السيد البدوى" لعبد
الحليم محمود شيخ الأزهر السابق.

وهم لا يكتفون بالترويج لهذا المرroc، بل يرمون أمة السنة
وأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بالكفر والإلحاد
وعلمتهم التي تميزهم بها، التهويين من أمر الصحابة رضوان
الله عليهم، والإشارة إلى خلافاتهم للتقليد من شأنهم بل
وتبديع وتکفير أمثال ابن تيمیه رضى الله عنه لما عرف عنه
من شدته على البدعة والمبتدةعة.

فالحذر الحذر يا أمة الإسلام ونحن أولى بالحذر من غيرنا
لبعد الشقة عن منبت الإسلام وصعوبه حيازه الكتب والمراجع
الضرورية، وقله أصحاب العلم الحق وكثرة المزيفين ومدعى
التدین، وأصحاب المصالح الدنيوية....

عليكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين من بعده .. عضوا عليها بالنواجد ..
وإياكم ومحدثات الأمور فكل محدثه بدعاه ... نعم .. والله الذي
لا إله إلا هو ... كل محدثه بدعاه (وكل لفظ وضع لصيغة
العلوم) فلا يغرنكم من يتعالى بألفاظ تبدو في ظاهرها موافقة
للشريعة وهي تحمل في طياتها نقد سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهدم الدين والمرroc من الشريعة.

طارق عبد الحليم
تورنتو - كندا في رمضان ١٤١٧ هجري
الموافق يناير ١٩٩٧

دراسات في الفرق

الصوفية نشأتها وتطورها

« عندما يكون الفكر الإسلامي في حالة أ Fowler - كما هو حاله
في الوقت الحاضر - فإنه يغرق في التصوف وفي المبهم وفي
المتشوش ، وفي التزعة إلى التقليد الأعمى » .
مالك بن نبي .

حين خبت تلك النار داخل الصدور بدأ المسلمين يزحفون إلى
المقامات .

محمد إقبال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضْلَلٌ لَهُ وَمَنْ يَضْلُلُ فَلَا هَادِي لَهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ :

١ — فَإِنْ هَذَا الْبَحْثُ عَنِ الصَّوْفِيَّةِ لَمْ يَقْصُدْ بِهِ الْإِسْتَقْصَاءُ لِكُلِّ مَا كُتِبَ عَنِ الصَّوْفِيَّةِ أَوْ كُلِّ مَا كُتِبَ الصَّوْفِيَّةَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَالْتَّفْتِيشُ عَنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَرَائِهِمْ وَطَرْقَهِمْ بِالْتَّفْصِيلِ ، فَإِنْ هَذَا شَيْءٌ يَطُولُ وَلَيْسَ مِنْ غَرْضِنَا ، بَلِ الْهَدْفُ الَّذِي وَضَعْنَا نَصْبًا هُوَ إِعْطَاءُ فَكْرَةِ مِرْكَزَةِ مُوجَةِ الصَّوْفِيَّةِ لِأَنَّاسٍ يَنْشَدُونَ الْحَقَّ وَتَحْصِيلَهُ بِعِيدَانِهِ عَنِ هَذَا الرِّكَامِ مِنَ الْفَرَقِ وَالْتَّفَرَقِ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ أَصْوَلِهِمْ وَمَراحلِ تَطْوِيرِهِمْ ، وَالْبَدْعَ الَّتِي وَقَعُوا فِيهَا وَرَؤُوسُ طَرْقِهِمْ تَكْفِي لِمَعْرِفَةِ حَالِهِمْ وَأَمَّا الْغَارِقُونَ فِي التَّصُوفِ فَقَدْ قَالَ السَّلْفُ عَنْهُمْ : إِنَّ صَاحِبَ الْبَدْعَةِ قَلَّ أَنْ يَرْجِعَ عَنْهَا .

٢ — نَحْنُ لَا نَكْتُبُ عَنِ الصَّوْفِيَّةِ كَانَتْ وَبَادَتْ أَوْهِي جُزْءٌ مِنَ التَّرَاثِ كَمَا يَقَالُ الْيَوْمُ بِلْ هِيَ مُوْجَدَةٌ مُوْصَلَةٌ بِالْمَاضِي ، بَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ أَنَّهُمْ عَادُوا بَعْدَ أَنْ انْهَسَرَ ظَلَّهُمْ قَلِيلًا ، عَادُوا بِقُوَّةِ لِغاِيَةِ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ يَسْتَفِيدُ مِنْ عَوْدَتِهِمْ لِيَزَاحِمُ بِهِمْ دُعَوةِ الإِسْلَامِ الْحَقِّ ، فَالْبَرِيلِوِيَّةُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَجَانِيَّةُ فِي الْمَغْرِبِ وَبَيْنِهِمَا الشَّاذِلِيَّةُ وَالْبَرَهَانِيَّةُ ... إِلَى آخرِ أَسْمَاءِ الْطَّرَقِ الَّتِي لَا تَتَهَيِّئُ ، عَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ

وَمَكَةَ بَعْدَ أَنْ خَلَتْ مِنْهُمْ عَشْرَاتُ السَّنِينِ . فَلِمَذَا لَا تَنْهِيَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَخْطَائِهِمْ وَخَطَرِهِمْ ؟

٣ — عِنْدَمَا نَتَكَلَّمُ عَنِ الصَّوْفِيَّةِ فَإِنَّمَا نَقْصِدُ الْمَعْنَى الْأَصْطَلَاحِيِّ ، أَيِّ الصَّوْفِيَّةِ الَّتِي جَاءَتْ بِكُتُبٍ وَمُصْطَلَحَاتٍ خَاصَّةٍ ، فِيهَا إِشْكَالَاتٍ وَبَعْدَ عَنِ الْمَنْهَجِ الإِسْلَامِيِّ الصَّحِيحِ أَدَتْ فِيمَا بَعْدَ إِلَى أَمْرَوْرِ خَطِيرَةٍ مِثْلِ الْإِتْحَادِ وَالْحَلُولِ ، فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ تَفْرُقٌ وَبَعْدَ عَنْ خَطِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ يَقُولُونَ : إِنَّمَا نَعْنِي بِالصَّوْفِيَّةِ السُّلُوكَ الإِسْلَامِيِّ وَتَرْقِيقَ الْقُلُوبِ وَالْزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا فَيَقَالُ لَهُمْ : لِمَذَا تَسْمُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ صَوْفِيَّةً وَقَدْ أَصْبَحَتْ عَلَيْهَا عَلَى رَمُوزٍ وَأَشْكَالٍ تَخَالُفُ الْإِسْلَامِ فَهَلَا ابْتَعَدْتُمْ عَنِ الشَّبَهَاتِ وَتَرَكْتُمُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي مَا تَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ « وَالْزَّهْدُ لَمْ يَدْمِهِ أَحَدٌ وَقَدْ ذَمَّوْا التَّصُوفَ » ^(١) .

« وَالَّذِينَ اكْفَوْا بِحُسْنِ الْخَلْقِ وَالْزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّأْدِيبِ بِآدَابِ الشَّرْعِ لَقَبُوا بِالنَّسَاكِ وَالْقَرَاءِ وَالْزَّهَادِ وَالْعِبَادِ ، وَالَّذِينَ أَقْبَلُوا عَلَى دراسةِ النُّفُوسِ وَأَفَاتُهَا وَمَا يُرِيدُ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ خَوَاطِرٍ وَحَرَصُوا عَلَى الصِّيَغَةِ الْمَذْهَبِيَّةِ لَقَبُوا بِالصَّوْفِيَّةِ » ^(٢) .

فَالْقَضِيَّةُ لَيْسَ قَضِيَّةُ سُلُوكٍ وَإِنَّمَا هِيَ أَسَالِبُ مُسْتَحْدَثَةٍ مُخْتَرَعَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ فِي الرِّياضَاتِ الرُّوْحِيَّةِ أَدَتْ إِلَى الشَّطْعَ وَالْقُولَ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَعِيَّةُ الصَّوْفِيَّةِ الْإِنْتَصَالُ بِاللَّهِ — بِزَعْمِهِمْ — وَالْبَعْدُ عَنِ النَّاسِ ، وَهَذَا مَضَادٌ لِمَنْهَجِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَعْثُوا إِلَّا لِيَهْزُوا أَرْكَانَ الْعَالَمِ

١ — ابن الجوزي : ثلبيس ثلبيس / ١٦٥ .

٢ — زكي مبارك : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق / ٢ / ٢١ .

فكيف، من يتكلّم بالحلول والإتحاد ، فهذا كفر صريح . وإذا كان علماء السلف قد ذموا علم الكلام وما جرّ وراءه من بدعة وتفرق ، وإن كان بعض العلماء الذين خاضوا فيه قد صدوا الدفاع عن الإسلام بنوایا حسنة ، فكيف لايُنَمِ من ابتداع طريق التصوف الأعمامي في الفتاء والرهبانية وذكر الله بالرقص والدف « ومن يعتقد أن لأحد طریقاً إلى الله من غير متابعة محمد عليه السلام فهو كافر من أولياء الشیطان » (١) .

ثم إن هناك من العلماء الذين كتبوا في موضوع (الفرق) من اعتبارها كذلك ، كالرازي في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) قال : « أعلم أن أكثر من قص فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ ... » (٢) ، ثم ذكر طبقاتهم وفرقهم . وقد جعل ابن النديم في كتابه (الفهرست) المقالة الخامسة (في السياح والزهد والعباد والمتصوفة المتكلمين على الخطارات والوساوس) (٣) .

وعقد ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والنحل) فصلاً للذكر (شنع قوم لا تعرف فرقهم) ثم قال : « وادعَت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله من هو أفضَل من جميع الأنبياء ، وأن من عرف الله فقد سقطَت عنه الأعمال » (٤) .

وجاء في كتاب (البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان) لعباس

١ - البقاعي : تبيه الغي / ٢١ .

٢ - فخر الدين الرازي : اعتقادات فرق المسلمين / ٧٢ .

٣ - الفهرست / ٢٦٠ .

٤ - ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ٤ / ٢٢٦ .

ويوقظوا الناس من سباتهم ، ولذلك فنحن لا نعتبر أعلام الزهد والعباد كابراهيم بن أدهم والفضل بن عياض وأمثالهم داخلين في الصوفية بهذا المعنى الذي نقرره (١) ، فضلاً عن أن نعتبر أمثال الحسن البصري ومن قبله كما يحاول الصوفية أن يقرروا بدون حياء كما يصفهم ابن الجوزي ، وكل فرقة تحاول التمويه على الناس وتنسب إليها أعلام أهل السنة ، فكل الأحاديث الباطلة والمضحكَة عند الشيعة الإمامية تُنَسَّب إلى جعفر الصادق والحقيقة أنه من أئمة أهل السنة .

والفرق بين الزهد الأول والتصوف هو كالفرق بين التشيع بمعناه اللغوي الذي هو المناصرة والمحبة لعلي رضي الله عنه بدون غلو أو تفضيل ، وبين التشيع الذي استقرَّ أخيراً كفرقة لها عقائدَها المميزة بعد أن أدخلت الباطنية الغلو في علي توسلًا إلى الطعن في الصحابة ، وهكذا بثت الباطنية تعاليمها الإلحادية في غلاة الصوفية (٢) .

٤ - إن اعتبار الصوفية (فرقة) لابد أن يثير الإستغراب والتساؤل ، لأن الإعتقاد السائد أنهم من غمار أهل السنة .

وジョباً على هذا الإعتراض نقول : إذا كانت الصوفية تعتقد أن طريق الوصول إلى الله سبحانه وتعالى بالكشف والذوق والرياضات الروحية التي مأنزل الله بها من سلطان ، فلاشك أن هذا تفرق مذموم

١ - جاء في دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٣٢ ط. ١٩٣٣ : « وعياناً نحاول أن نجد أي أثر للنزعية النظرية التي نمت في القرن الثاني ، ولا نستطيع أن نعتبر إبراهيم بن أدhem واحداً من هؤلاء الذين تخطوا تلك الحدود وأسس مذهب الإعراض عن الدنيا وتآديب النفس » .

٢ - انظر رشيد رضا : تاريخ الأئمَّة ١ / ١١٦ .

سبحانه في القرآن بأن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة ، كما أن عبادة الله دون علم فيه شبه بالنصراني والتوسط المعتدل هو المطلوب ، والمطلوب (صراط الذين أنعمت عليهم) فلأنكوا كالمحضوب عليهم وهم اليهود ، ولا كالنصارى .

٦ — إن التصوف بالمعنى الإصطلاحى الذى قررناه مستمر إلى الآن وله أثر سلبى واضح في تربية الأجيال المسلمة ، تربية الاذلال والعبودية للشيخ ، وتصديق كل ما هو غير معقول^{١٩} إنها مأساة حقيقة أن يظهر بين الفينة والأخرى دجال كذاب يمشي وراءه شباب من طيبة الكليات العلمية وغير العلمية ، عدا العوام وأنصار العوام . هذه التربية جعلت من هؤلاء الشباب أصفاراً بلهاء يتظرون كلمة من الشيخ أو معجزة خارقة على يديه .

يقول ابن عقيل محذراً من الصوفية والمتكلمين :

[ماعلى الشريعة أحد من المتكلمين والمتتصوفين ، فهو لاء (المتكلمون) يفسدون عقائد الناس بتوهمات شبهات العقول ، وهو لاء (المتصوفة) يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان . فالذى يقول : حدثنى قلبي عن ربي فقد استغنى عن رسول الله عليه السلام ، وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء (المتكلمين) الشك ، وغاية هؤلاء (المتصوفة) الشطح]^(١) .

لهذه الأسباب واستمرار المتتصوفة في تخريب الأجيال الإسلامية في كل مكان كان لابد من الكتابة عنهم ، ونحن إن شاء الله لننبخ الناس أقدارهم ولكن كل طائفة أو فرقه تظن أنها وحدتها

بن منصور الحنفى : « ولم يشد أحد منهم — أي عن أهل السنة والجماعة — سوى فرقه واحدة تسمى بالصوفية يتقررون لأهل السنة وليسوا منهم وقد خالفوهم في الإعتقداد والأفعال »^(١) والظاهر أن المؤلف يتكلم عن غلاة الصوفية .

والقصد أنتا لانعني بكلمة فرقه إلا التفرق المذموم في الشرع وهو الإبعاد عن أصله الإسلام الذي يمثله جيل الصحابة ومن تبع أثرهم . ونحن نعلم أن هناك أفضضل يتسبون إلى التصوف ولكن هذا لايمعن من الكلام عن الصوفية بشكل عام ، وهؤلاء العلماء أخذوا بجانب الصوفية لظنهم أنها الطريق الوحيد لتربيه النفس ، وهذا خطأ منهم ، ومع ذلك فهم لايتعمقون في التصوف المنحرف المؤدي إلى البطالة أو الكفر ، والمرجحة كذلك تصنف مع الفرق ومع ذلك فقد ابتدى بها بعض العلماء فإذا اعتبرنا الصوفية فرقه ابتعدت قليلاً أو كثيراً عن منهج السلف فلمايعنى هذا أن كل من انتسب إليها ضال منحرف ، فقد يكون من أعظم العباد ولكن فيه نقصاً في جانب من جوانب الإسلام الشامل المتكامل يكون فيه من النقص بمقدار ابتعاده عن السنة .

٥ — ونحن لاننكر أن أوائل الصوفية أثروا الجانب الروحي — إذا صح التعبير — بكلامهم عن أعمال القلوب وخطراتها والتركيز على الإخلاص والتوكيل والإبانة والخشية لله سبحانه وتعالى ولكنهم تشددوا في هذا ونقبوا مما سندكره إن شاء الله في موضعه ، كما أنا لاننكر أن البعض في الطرف المقابل قد يكون عنده قسوة قلب وهذا مرفوض أيضاً ، بل هذا فيه شبه باليهود الذين وصفهم الله

١ — مقدمة كتاب اعتقادات فرق المسلمين / ١١ .

على الحق ، وكل حزب بما لديهم فرجون ، فهم يظنون أنهم أفضل الخلق ، وأنهم صفة أوليائه ، فالغزالى (١) يعتقد أن هذا هو الطريق ولا طريق غيره لتصفية النفس ، وكأنه لم يسمع بشيء اسمه أهل السنة أو أهل الحديث ، أهل العلم والعمل أمثال أحمد بن حنبل وعبد الله بن المبارك وأئمة أهل الفقه والحديث وهم كثيرون جداً (٢) .

والذي يقرأ في أول شدوه للعلم كتب الغزالى أو الحارث المحاسبي (٣) يظن أن هذا هو الطريق ولا طريق غيره ، وتبقى الحقيقة وراء كل ذلك قائمة كالشمس في رابعة النهار ، تلوح لمن صح قصده ، وأصاب عمله ، وانتهيج الصراط المستقيم . وأخيراً نرجو من الله سبحانه وتعالى أن توفق لعرض نسأة الصوفية وتطورها بدون تعصب أو تحامل والله من وراء القصد ، لأهل السنة ، وهذا الأمر مما يصعب مهمة الباحث في أطوار الصوفية والحمد لله رب العالمين .

مقدمة :

لم تكن الصوفية — بطبيعتها — فرقاً واضحة متميزة حتى يمكن للباحث تتبع تطورها طوراً طوراً عبر السنين وإنما هي فرقه (هلامية) إن صح التعبير ليس لها شكل محدود ، فقد تجد معتقدى أفكارها من هم من الفقهاء ، أو تجدهم متذمرين بيدعهم مدعيين الإننسب لأهل السنة ، وهذا الأمر مما يصعب مهمة الباحث في أطوار الصوفية الذي يقصد إلى التحديد الدقيق لمراحلها المختلفة :

ومن ثم سنجاول بيان هذه الأطوار بذكر المعالم الرئيسية التي مرت بها الفرقه عبر القرون ، وما قد يكون من ظهور أفكار كبيرة تصلح أن يعتبرها الباحث مرحلة من المراحل ، فهو تطور امتزج فيه التاريخ بالفكرة ، مما أصعب أن تفصل عرى الإرتباط الذي دام من منشأ هذا التفرق حتى يوم الناس هذا .

وقد قسمنا مراحل تطور الصوفية إلى ثلاثة مراحل مسبوقة بتمهيد لها وهو ظهور طبقة العباد والزهاد في المجتمع الإسلامي . ثم أول المراحل وهم أوائل الصوفية الذين يصح أن يقال فيهم : من هنا بدأ التفرق ، تبعها مرحلة المصطلحات خاصة الغامضة التي استقلت بها الفرقه ، ثم ظهور فكرة وجود وحدة الوجود وتدخلها في فكر الصوفية مع امتزاجها بالفلسفه الغنوصية اليونانية .

١ - أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالى ، تفقه على إمام الحرمين ومهر في الكلام والجدل وتأثر بكتاب ابن سينا وإنواع الصفا ، ثم ترك ذلك ومال إلى الصوفية ، وكان من الأذكياء ، صاحب ذهن سعال جوال ولذلك يلاحظ عليه التقلب بين الفقه والاتزان بأداب الشرع وبين الخوض في الفلسفة والكلام والصوفية ، وله في ذلك ألفاظ مستحبة جداً سقط فيها على أم رأسه ، له تأليف مشهور في الفقه والتصوف والرد على الفلاسفة . انظر : سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٢٢ ومانقله من أقوال العلماء فيه ، مبالغة منه في الانصاف . توفى أبو حامد سنة ٥٠٥ هـ بلدة طوس .

٢ - انظر كتاب الغزالى : المندى من الضلال ، فقد قسم فيه الطرق الموصولة للحق إلى أربعة : الفلسفة ، الكلام ، الإمام المعمصون ، الكشف ثم رضي بالأخير دليلاً له إلى الحق .

٣ - هو الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي ، له كتب كثيرة في الزهد ، رفض تركه أبيه لخوضه في علم الكلام . سئل أبو زرعة الرازي عن كتبه فنهى عنها وقال : (عليك بالآثر وهل بلغتكم أن مالكا والثورى والأوزاعى صنعوا في الخطارات والوساوس) توفى المحاسبي سنة ٢٤٣ هـ . انظر : صفة الصفة ٢ / ٣٦٧ سير أعلام النبلاء ٢ / ١١٠ .

الفصل الأول

المجتمع الإسلامي وظهور طبقة العباد

نشأ المجتمع الإسلامي الأول نشأة طبيعية متكاملة غير متكلفة ، جمع بين بقايا من الفطرة السليمة والوحى المنزل من عند الله سبحانه وتعالى كان العرب يومها وخاصة أهل المدن كقريش والأوس والخزرج أقرب إلى الفطرة من الأمم الأخرى ، فلاريب أن الله اختار لنبيه أفضل الأجيال ، رياهم رسول الله عليه السلام بكله بكنفه ورعايته فكانتوا : « كورع أخرج شطأه فازره فاستقر على سوقه يعجب الزراع ليغطي بهم الكفار... » (١) . وعندما يدر منهم أي اجتهاد يخالف الحنيفة السمححة كان رسول الله عليه السلام يصحح لهم الطريق ويعود بهم إلى الجادة المستقيمة ، وعندما هم ثلاثة من الصحابة ترك الدنيا من نساء وأموال بادر رسول الله عليه السلام بردهم إلى الطريق الوسط قائلاً لهم : « أما أنا فأصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » (٢) .

وكان التابعون وكثير من تابعي التابعين على مثل ذلك ، يجمعون بين العلم والعمل ، بين العبادة والسعى على نفسه وعياله ، بين العبادة والجهاد ... ثم بدأ ظهور طبقة يغلب عليها جانب العبادة والبعد عن الناس مع علمهم وفضلهم والتزامهم بآداب الشريعة ، وأسباب معينة قد يغلب على أحدهم الخوف الشديد والبكاء

١ - المواقف للشاطئي ٢ / ١١٣ ط. دار الفكر بتعليق الشيخ الخضر حسين .

٢ - عبد الملك بن عبد الله الجوني : الغياثي / ٤٢ .

١ - سورة الفتح / ٢٩ .

٢ - جامع الأصول لابن الأنبار ١ / ٢٩٤ باب الاقتصاد في الأعمال .

ومنهم في الكوفة : الأسود بن يزيد بن قيس : كان يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يصفر جسمه ^(١) . وداود الطائي ، يذكر عنه أنه ورث بيته فكان لا يعمره إذا خربت ناحية منه حتى خرب البيت كله وجلس في زاوية منه ، وقد نحل جداً من قلة الأكل ^(٢) .

ويبدو أن من أسباب ظهور طبقة العباد والزهاد في القرن الثاني الهجري هو إقبال الناس على الدنيا يجمعون منها ويتناخرون ^(٣) ، فكانت ردة الفعل عند البعض هي الإبعاد الكلي عنها ، ولا بد أن هناك أسباباً أخرى قد تكون شخصية ، وقد تكون من أثر إقليم معين أو مدينة معينة ، فإن من الخطأ تفسير ظاهرة ما بسبب واحد .

ثم حدثت مرحلة انتقالية بين هذا الزهد المشروع وبين التصوف حين أصبح له تأليف خاصة ، ويمثل هذه النقلة مالك بن دينار فنراه يدعو إلى أمور ليست عند الزهاد السابقين ، منها التجدد أي ترك السطح في الليلة الباردة لثلا يجئه النوم ، وقد أعطى الله عهداً أن لا يضع جنبه على فراش حتى يلحق بربه ، توفي سنة ١٣٢ هـ ^(٤) . لا يبلغ الرجل الرواج ، وهو نفسه امتنع عن الرواج وكان يقول : « لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ويأوي مزابلاً الكلاب » ^(٥) . ويقول : « إنه لثاني على السنة لاأكل فيها لحماء

ومنهم في البصرة طلق بن حبيب العنزي ، من كبار لا في يوم الأضحى ، فاني آكل من أضحكتي » ^(٦) . وكثيراً ما يقول : قرأت في بعض الكتب ، قرأت في الثورة ، ويروي عن عيسى عليه السلام : « بحق أقول لكم ، إن أكل الشعير والنوم على

ومنهم كرز بن وبر الحارثي نزيل جرجان : من العباد والزهاد المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس » أو قوله : « أوحى

المستمر ، فهو لاء وإن كانت أحوالهم عالية جداً ، ولكن أحوال الصحابة ومن اتقنهم من التابعين أفضل ، ولذلك قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأصحابه : « أتتم أكثر صوماً وصلاوة من أصحاب محمد وهم كانوا خيراً منكم قالوا : لم يأبا عبد الرحمن؟ قال : لأنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة » ^(٧) .

ومن هؤلاء العباد في المدينة :

١ - عامر بن عبد الله بن الزبير : كان يواصل في الصوم فيقول له والده : رأيت أبي بكر وعمر ولم يكونا هكذا ^(٨) .

٢ - صفوان بن سليم : من الثقات قال عنه أحمد بن حنبل : يستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره ، وكان يصلى على السطح في الليلة الباردة لثلا يجئه النوم ، وقد أعطى الله عهداً أن لا يوضع جنبه على فراش حتى يلتحق بربه ، توفي سنة ١٣٢ هـ ^(٩) . فإذا كان مأورده الذهبي صحيحاؤهذا خلاف قوله عليه صلوات الله عليه (وأصلي وآنام) .

ومنهم في البصرة طلق بن حبيب العنزي ، من كبار لا في يوم الأضحى ، من عمالين ، وعطاء السلمي بكى حتى عمش ^(١٠) .

قال عنه الذهبي : « هكذا كان زهاد السلف وعبادهم أصحاب خوف وخشوع وتعبد وقنوع لا يدخلون في الدنيا وشهواتها ولا في عبارات أحدهما المتأخر من الفتاء والإتحاد » ^(١١) .

- | | |
|---|---|
| ١ - ابن الجوزي : صفة الصوفة ٢ / ٢٣ . | ٤ - ابن تيمية : الفتاوى ٢٢ / ٣٠٤ . |
| ٢ - المصدر السابق ٣ / ١٣٩ . | ٥ - الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ٢١٩ . |
| ٣ - ابن خلدون : المقدمة / ٤٦٧ . | ٦ - المصدر السابق ٦ / ٨٦ . |
| ٤ - سير أعلام النبلاء ٨ / ١٥٦ . | ٧ - سير أعلام النبلاء ٤ / ٦٠١ . |
| ٥ - سير أعلام النبلاء ٢ / ٣٥٩ . | ٨ - الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء ٥ / ٢١٩ . |
| ٦ - الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٥٩ . | ٩ - ابن تيمية : الفتاوى ٢٢ / ٣٠٤ . |
| ٧ - تاریخ الصوف ١٩٣ . | ١٠ - المصدر السابق ٥ / ٣٦٧ . |

الله إلى نبي من الأنبياء» أو «قرأت في الزبور...»^(١).

فمن الواضح ومن خلال قراءة ترجمته في كتب الطبقات أن متأثر بما ترويه الكتب القديمة عن الزهاد والرهبان ... ومن الواضح أن هذه الكتب قد حرفت ، ولستا مأمورين بقراءتها بل منهياون عن الأخذ منهم وتقليلهم .

وربما يكون عبد الواحد بن زيد ورابعة العدوية^(٢) من أقطاب هذه المرحلة الإنقالية ، واستحدثت كلمة العشق للتغيير عن المحبة بين العبد والرب ويرددون أحاديث باطلة في ذلك مثل : «إذا كان الغالب على عبدي الإشتغال بي جعلت نعيمه ولذته في ذكري عشقني وعشقتها». وبدأ الكلام حول العبادة لاطمئنا في الجنة ولاخونا من النار ، وإنما قصد الحب الإلهي ، وهذا مخالف للآية الكريمة : «يدعونا رغبا ورها»^(٣) . ومثل قول رابعة لرجل رأته يضم صبياً من أهله ويقبله : «ماكنت أحسب أن في قلبك موضعًا فارغاً لمحبة غيره تبارك اسمه»^(٤) . وهذا تعمق وتتكلف لأن الرسول عليه السلام كان يقبل أولاد ابنته ويحبهم .

يقول ابن تيمية ملاحظاً هذا التطور : «في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء : الرأي ، والكلام ، والتصوف ، فكان جمهور

١ — انظر ترجمته في حلية الأولياء ٢ / ٣٥٧.

٢ — تكلم فيها أبو داود السجستاني واتهمها بالزندقة ، فلعله بذلك عنها أمر ، توفيت بالقدس سنة ١٨٥هـ . انظر : ابن كثير / البداية والنهاية ١٠ / ١٨٦ . قال ابن تيمية : قال

بعضهم : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبد الله بالخروف وحده فهو حروري ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيٌّ ومن عبده بالحب والخروف والرجاء فهو مؤمن موحد . انظر الفتاوى ١٠ / ٨١ .

٣ — الأنبياء / ٩٠ . ٤ — سير أعلام النبلاء ٨ / ١٥٦ .

رأي في الكوفة ، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة ، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وظهر أحمد بن علي الهجيمي^(١) وبني دويرة للصوفية وهي أول مابني في الإسلام (أي دار خاصة للإنقاء على ذكر أو سماع) وصار لهم من التعبد المحدث طريق يتمسكون به ، مع تمسكهم بغالب التعبد المنشروع ، وصار لهم حال من السماع والصوت ، وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل ، وأما الشاميون فكان غالباً منهم مجاهدين^(٢) .

كما لخص هذا التطور الإمام ابن الجوزي فقال : «في عصر الرسول عليه السلام كانت كلمة مؤمن ومسلم ، ثم نشأت كلمة زاهد وعبد ، ثم نشأ أقوام تعليقاً بالزهد والتعبد واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها ، هكذا كان أولئك القوم وليس عليهم إيليس أي شيء ثم على من بعدهم إلى أن تمكن من المتأخرین غایة التمکن»^(٣) .

هؤلاء الذين اتخذوا طريقة تفردوا بها ويسماهم ابن الجوزي بـ (أولئك القوم) الذين جمعوا بين الزهد وبين التعمق والتشدد والتفتیش على الوساوس والخطرات مما لم يكن على عهد السلف الأول ، هؤلاء هم الذين ستتكلم عنهم في الفصل القادم إن شاء الله .

الفصل الثاني

أوائل الصوفية

تمهيد :

تطورت الصوفية من الإعتدال إلى الغلو ، من البدع العملية إلى البدع القولية الإعتقادية ، بعد أن دخلت عليها عناصر خارجية ، وهي كأي تفرق يبدأ بسيطاً ساذجاً ثم يتغلل إلى التأصيل والتفرع ، ثم الإيغال في الضلال . ويمكن تقسيم هذا التطور إلى ثلاث مراحل : أوائل الصوفية ومن مشى على طريقتهم ثم تقييد الصوفية بمصطلحات خاصة ، ثم دخول الفلسفة الفنوصية وظهور نظريات الإتحاد ووحدة الوجود . هذه المراحل أو الطبقات (١) ليست منفصلة عن بعضها وغير محددة بزمن معين وانتهت ، بحيث أن كل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها ، ولكن هذا التطور حصل في العصور الإسلامية فكان الغالب على بدايات التصوف الإعتدال وعدم الغلو ، ثم إن التصوف بلغ قمة الإنحراف في القرن السابع على يد ابن عربي وأبن الفارض وأمثالهما ، وصوفية اليوم مزيج من الإنحراف العلمي والعلمي فلايزال يوجد من يردد أقوال الغلاة عن علم وعن غير علم .

إن من أعلام المرحلة الأولى من هو في القرن الثالث

- ١ - هو أبو القاسم الخازر ، أصله من نهارند ومولده في بغداد ، من أقواله : الطريق إلى الله مسدود على الخلق إلا على المقربين آثار الرسول عليه السلام ، تفقه على أبي ثور ، توفي سنة ٢٩٨ هـ . انظر صفة الصفوة ٢ / ٤٦ .
- ٢ - هو السري بن المقلنس خال الجيد وأستاذه ، يحب العزلة ، تكلم في موضوع المحبة لاطمئنان في الجنة ولا خوفاً من النار ، ومن أقواله قليل في سنة خير من كثير في بدعة . توفي ٢٥٣ هـ ، انظر : طبقات الشعراوي ١ / ٧٤ .
- ٣ - محمد بن علي بن عطية ، كان رجلاً صالحًا ، ذكر أحاديث في (قوت القلوب) لأصل لها . يدعى الناس في بعض أقواله وهجروه توفي ٣٨٦ هـ . انظر : البداية والنهاية ١١ / ٣١٩ .

- ٤ - محمد بن الحسين الأزدي السلمي ، له عناية بأخبار الصوفية ، صنف لهم تفسيراً على طريقتهم . قال عنه محمد بن يوسف القطباني البسابوري : لم يكن ثقة ، وكان يضع للصوفية الأحاديث ، وفي تفسيره أشياء لاتسوغ أصلاً ، توفي سنة ٤١٢ هـ . انظر : سير أعلام البلاء ١٧ / ٢٤٧ .
- ٥ - انظر ترجمته في القسم المخصص لللاحق .

١ - يعني بالطبيقة هنا الذين يجمعهم منهج واحد وطريقة واحدة ولانعني الجيل الواحد كما هو معروف في مصطلح المؤرخين من كتاب الطبقات .

أوائل الصوفية :

عرف التصوف في بداياته بأنه رياضات نفسية ومجاهدات للطياع ، وكسر لشهوات النفوس وتعذيب للجسد كي تصفو الروح ، وإذا كان هذا الصفاء الروحي يأتي بدون تكلف عند السلف نتيجة التربية المتكاملة فتحن هنا بقصد تشدد وتتكلف لحضور هذا الصفاء ، وبقصد تنفير وتفليس عن الإخلاص يصل إلى حد الوساوس ، وسترى من أقوالهم وأحوالهم ما يؤيد هذا .

قال الجنيد — ويسمونه سيد الطائفـة — : « مأخذنا التصوف عن القيل والقال بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألهـفات »^(١) . ويصف معروف الكرخي نفسه فيقول : « كنت أربع دهري كله صائمًا ، فإن دعيت إلى طعام أكلت ولم أقل إني صائم »^(٢) ويقول بشر الحافي^(٣) : « إني لأشتئي شواء ورقاً من ذهني سنة ماصفاً لي درهم »^(٤) . ويرى الجنيد عند شيخه السري السقطي خزف كوز مكسور فيسألـه عن ذلك فيقول : أبردـت لي ابتيـ ماء في هذا الكـوز ثم غلـبتـ عينـي فرأـيتـ جـارـيةـ فـسـأـلـهـ لـمـ أـنـتـ ؟ فـقـالـتـ : لـمـ لـايـشـرـبـ المـاءـ الـبـارـدـ وـضـرـبـهـ

١— سير أعلام النبلاء : ١٤ / ٦٩ .

٢— صفة الصفرة : ٢ / ٣٢٠ .

٣— هو بشر بن الحارث اشتغل بالعبادة واعتزل الناس ، أثني عليه في عبادته وورعه ونسكه ، ولو أخوات ثلاثة كن مثله توفي عام ٢٢٧ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٤١ / ١٠ .

٤— صفة الصفرة ٢ / ٣٢٩ .

بيدها فانكسر^(١) . ويروي الجنيد عن بعض الكبار أنه إذا نام ينادي : أتنام عنـي إـنـ نـمـ لأـضـرـيـنـكـ بـالـسـيـاطـ ، وـحـكـيـ الغـرـاليـ عنـ سـهـلـ بنـ عـبـدـ اللهـ أـنـهـ كـانـ يـقـنـاتـ وـرـقـ الـبـقـ مـرـةـ ، وـيـشـجـعـ الغـرـاليـ عـلـىـ السـيـاحـةـ فـيـ البرـارـيـ بـشـرـطـ التـعـودـ عـلـىـ أـكـلـ أـعـشـابـ البرـيـةـ والـصـيدـ^(٢) .

ومن آداب الصوفية عند أبي نصر السراج : (إيثار الذل على العز ، واستحباب الشدة على الرخاء)^(٣) ، ورتبوا أموراً لمن يريد الدخول معهم أو للمرید ومنها : اشتراط الخروج من المال كما يذكر التشیري في رسالته ، وأن يقلل من غذائه بالتدريج شيئاً بعد شيء وأن يترك التزوج مادام في سلوكه^(٤) ، وأما أبو طالب المكي فيطلب من المرید ألا يزيد على رغيفين في اليوم والليلة^(٥) ، والجنيد يطلب من المرید ألا يشغل نفسه بالحديث^(٦) . كما أن من ميزات هذه المرحلة :

١— استحداث مايسـونـهـ (السمـاعـ) وـهـوـ الإـسـتـمـاعـ إـلـىـ القـصـائـدـ الزـهـدـيـةـ الـمـرـقـفـةـ ، أـوـ إـلـىـ قـصـائـدـ ظـاهـرـهـاـ الغـرـلـ وـيـقـولـونـ : نـحـنـ نـقـصـدـ بـهـاـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ السـلـطـةـ ، وـمـنـشـدـهـمـ يـسـمـونـهـ (الـقـوـالـ) وـيـسـتـعـمـلـ الـأـلـحـانـ الـمـطـرـبةـ .

٢— بدأ الكلام عن كيان خاص مميز يسمى (الصوفية) وظهرت كلمات مثل (طريقتنا) و (مذهبنا) و (علمـنا) ، يقول

١— الكلابـاديـ : التـعـرـفـ / ١٥٥ .

٢— اللـامـ / ٢٨ .

٣— الشاطـيـ : الإـعـصـامـ / ٢١٤ .

٤— تـلـيـسـ إـبـلـيـسـ / ١٤١ .

٥— ربما كان مقصوده الإنبعاث إلى تركية النفس في بداية الطريق دون التعمق في مصطلحات الحديث ولا فإن ترك الحديث يؤدي إلى الكفر .

الجوع فيه شبه بالتبتل الذي رده الرسول ﷺ على بعض أصحابه ، وبسبب هذه الرياضات فقد ابن عطاء الأدمي البغدادي عقله ثمانية عشر عاماً ، قال الذهبي معلقاً على ذلك : « ثبت الله علينا عقولنا فمن تسبب في زوال عقله بجوع ورياضة صعبة فقد عصى وأثم » (١) .

وأما السياحة في البراري فهي من السياحة المنهي عنها ، وهي من الرهابية المبتدعة ، وكأنهم لم يسمعوا بالحديث الذي رواه أبو داود عن أبي أمامة أن رجلاً قال : يارسول الله أئذن لي في السياحة ، قال رسول الله ﷺ : « إن سياحة أمتي jihad في سبيل الله » (٢) .

يقول ابن تيمية : « وأما السياحة التي هي الخروج في البرية فليست من عمل هذه الأمة » (٣) ، وقول الإمام الذهبي : « الطريقة المثلثي هي الحمدية ، وهو الأخذ من الطيبات ، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف ، فلم يشرع لنا الرهابية ولا الوصال ولا صوم الدهر والجوع أبو جاد الترهب » (٤) . « وقد ليس عليهم في ترك المال كله ، وكانت مقاصدهم حسنة وأفعالهم خطأً والعجيب من الحارت المحاسبي والغزالى كيف حثوا على ذلك ، وأما استشهاد الحارت بأن عبد الرحمن بن عوف يوقف في عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال فهذا خطأً وجهل بالعلم وقصة حبس ابن عوف غير صحيحة ، ولم ينه الله عز وجل عن جمع المال وإنما النهي عن القصد بالجمع » (٥) .

- ١ - سير أعلام النبلاء / ١٤ / ١٥٣ .
- ٢ - سنن أبي داود / ٣ / ٥ كتاب الجهاد .
- ٣ - ابن تيمية : اقتداء الصراط المستقيم / ١٥٠ وقد نقل كلام الإمام أحمد بن حنبل .
- ٤ - سير أعلام النبلاء / ١٢ / ٨٩ ويعني بكلمة (أبو جاد) البداية والمقدمة .
- ٥ - تلبيس وليس / ١٨٠ .

الجندid : « علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله ﷺ » (١) . ويقول أبو سليمان الداراني : « إنه لتمر بقلبي النكتة من نكتة القوم فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة » (٢) والشاهد قوله (من نكتة القوم) فهناك إذن قوم متميرون .

٣ - صفت الكتب التي تجمع أخبار الزهد والرهاد تخلط الصحيح بغير الصحيح وتحكل عن خطرات النفوس والقلوب والدعوة إلى الفقر وتتقل عن أهل الكتاب ، مثل كتب الحارت المحاسبي ، وأبي طالب المكي في (قوت القلوب) ، وصنف لهم أبو عبد الرحمن السلمي في التفسير ، وأبو نعيم الأصفهاني في (حلية الأولياء) . يقول ابن خلدون : « أصل طريقتهم محاسبة النفس والكلام في هذه الأذواق ثم ترقوا إلى التأليف في هذا الفن فألفوا في الورع والمحاسبة كما فعله القشيري في (الرسالة) وذلك بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط » (٣) .

ولنا على هذه المرحلة الملاحظات التالية :

١ - هذا التعمق والتشدد في العبادات مع ترك المباحثات لم يعهد عند السلف رضوان الله عليهم ، وكان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الحلوي ويستعبد له الماء البارد (٤) ، ولم يأمر ﷺ أحداً من أصحابه بالخروج عن ماله ، والتشدد في الدين كدوس الصيام والقيام هو داء رهبان اليهود والنصارى (٥) ، وترك التزوج وإدامة

- ١ - ابن القيم : مدارج السالكين / ٣ / ١٤٢ .
- ٢ - المصدر السابق / ٣ / ١٤٢ .
- ٣ - تلبيس وليس / ١٥١ .
- ٤ - الداهلي : حجة الله البالفة / ١٢٠ .
- ٥ - المقدمة / ٤٦٩ .

في وجهه^(١) . وقد مدح الخليفة العباسي المنصور عمرو بن عبيد المعترض على زهده فلعل ابن كثير : « الزهد لا يدل على صلاح فإن بعض الرهبان قد يكون عنده من الزهد ما لا يطيقه عمرو ولا كثير من المسلمين »^(٢) .

٢ — قد يظن العوام الذين يرون عبادة هؤلاء أنهم أفضل من الصحابة لأنهم لم يسمعوا أن الصحابة كانوا يفعلون مثل هذا والناس يعجبون بالغرائب والتشدد ولا يعلمون أن الشريعة جاءت بالطريق الأوسط الأعدل ، وقلة العلم بالأثار والسنن هي التي أوصلت بعض هؤلاء الناس إلى التشدد ، وظنوا أن القصد من الشريعة هو العمل ولذلك فلاداعي للعلم ، وإذا كان من الصعب تكامل الشخصية الإسلامية على مستوى جيل من الناس كما وجد عند الصحابة فلا أقل من انتفاء آثارهم ماأمكننا ذلك ولا تطرف في ناحية دون أخرى .

٣ — إن السماع الذي استحدثه هو الذي أنكره الشافعي رضي الله عنه عندما زار بغداد وقال : « خلقت بغداد شيئاً يسمونه التغيير يصدون به الناس عن القرآن »^(٣) ، ويقول ابن تيمية : « وهذا حديث في أواخر المائة الثانية وكان أهله من خيار الصوفية »^(٤) ويقول أيضاً : « وهذه القصائد الملحدة والإجتماع عليها لم يحضرها أكابر الشيوخ كالفضيل ابن عياض وإبراهيم بن أدهم والكرخي ، وقد

١ — أبجد العلوم : ٢ / ٣٧٤ للقونجي نقاً عن الشوكاني .

٢ — البداية والنهاية : ١٠ / ٨٠ .

٣ — يقول ابن القيم : « فإذا كان هذا قول الشافعي في التغيير وهو شعر يزهد في الدنيا ولكنه ينشد بالحنان ، فليست شعرى مايقول في سماع التغيير عنده تفليس في بحر .

انظر : إغاثة الهاedar ١ / ٢٣٩ .

٤ — الإستقامة ١ / ٢٩٧ .

إن السلف عندما فهموا الإسلام فهماً صحيحاً لم يتمقوا ويشددوا على أنفسهم ، فهذا سيد التابعين سعيد بن المسيب يقول له مولاه برد : مارأيت أحسن مايصنع هؤلاء ، قال سعيد : مايصنعون ؟ قال : يصلى أحدهم الظهر ثم لايزال صافاً رجليه يصلى حتى العصر ، قال سعيد : ويبحث يابرد ، أما والله ماهي بالعبادة ، تدرى ماالعبادة ؟ إنما العبادة التفكير في أمر الله والكف عن محارم الله^(٥) .

إن هذا الجسد مطية للنفس فإذا لم تعط هذه المطية حقها لم تستطع أن تحمل النفس بأعمالها الكبيرة ، ولكن عندما يحدث الزهد غير المشروع والتبتل والجوع وترك اللحم ، والإقصار على كسرة الخبز وشربة الماء ، عندئذ تلزم خطرات النفس ويسمع أشياء تتولد عن الجوع والسمير ، وربما أدى به إلى أمراض نفسية ، « والوصول إلى العبادة لا يكون إلا بالحياة الدنيا ولا سبيل إلى ذلك إلا بحفظ البدن »^(٦) « ومجرد ترك الدنيا ليس في كتاب الله ولا سنة نبيه وما فيه ضرر في الدنيا مذموم إذا لم يكن نافعاً في الآخرة »^(٧) .

إن الزهد الحقيقي هو الزهد في الدنيا حتى يستوي عنده ذهبها وترابها والزهد في مدح الناس أو ذمهم ، فمن كان هكذا فهو من أطماء القلوب ، فإن بدا منه مايخالف الشريعة نرد عليه بدعه ونضرب

١ — ابن سعد : الطبقات ٥ / ١٣٥ .

٢ — الدرية إلى مكارم الشريعة ٣ / ٥٣ للراغب الأصفهاني .

٣ — ابن تيمية : الفتاوى ٢٠ / ١٤٨ .

٦ — في هذه المرحلة المبكرة يبدو أن هناك تأثيراً للنصارى في تكوين القناعات بتعذيب الجسد كي تصفو الروح . روى أحمد بن أبي الحواري قصة لقائه براهب دير حرملة وقد سأله عن سبب رهباته فقال : البدن خلق من الأرض والروح خلقت من ملوك السماء فإذا جاء بدنه وأعراه وأسهره نازع الروح إلى الموضع الذي خرج منه وإذا أطعنه وأراحه أخلد إلى الأرض وأحب الدنيا . حدث ابن أبي الحواري شيخه أبا سليمان الداراني بمقالة الراهب هذه فقال الشيخ : (إنهم يصفون) وكانه أعجب بكلام الراهب ولذلك علق الذهبي عليه بقوله : (الطريقة المثلثة هي المحمدية) ^(١) .

٧ — إن أهل هذه الطبقة من الصوفية صادقون في زهدهم وبعدهم عن الدنيا ولكن فيهم تعمق وتشدد ووساؤس لم يأمر بها الشارع بل لا يجبها ونحن لاستبعد أن يكون هناك من يريد إفساد عقائد المسلمين بإدخال العقائد الباطنية ويكون فعله هذا من وراء ستار كما أخذوا التشيع بالمعنى السياسي وأدخلوه في دهاليز الباطنية ^(٢) ، ولذلك يدر منهم أحياناً كلمات تجعلنا تتوقف عندها طويلاً كما يروي عن الجنيد أنه قال للشبلبي : « نحن حبرنا هذا العلم تحبيراً ثم خبأناه في السراديب فجئت أنت فرأيته على رؤوس الملاء » ^(٣) . مع أن بعض العلماء يستبعد كلمات تنسب إليه مثل قوله (انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة) يقول ابن تيمية : « فيه نظر،

١ — سير أعلام النبلاء : ١٢ / ٨٩ .

٢ — يقول رشيد رضا : « الذي استقطبه من طول البحث والمقارنة أن أكثر الذين خالفوا نصوص الشرعية بأقوالهم وكتاباتهم من لا يarsi ليس التصوف هم باطنية في الحقيقة ثم قلدتهم كثير من المسلمين وهم لا يعرفون أصلها » انظر : تاريخ الإمام ١ / ١١٥ .

٣ — الكلباظدي : التعرف / ١٤٥ .

حضرها طائفة منهم ثم تابوا وكان الجنيد لا يحضره في آخر عمره ^(٤) .

٤ — قلنا أنه بدأ الكلام عن كيان خاص يسمى (الصوفية) وقد يقول معارض : إذا كانت القضية قضية أسماء مستحدثة فقد حدث الإنتساب إلى الفقه كالشافعية والمالكية ... أو الإنتساب إلى الحديث ، والجواب هو أنه إذا كانت الأسماء المستحدثة تنسب إلى علم شرعى يحبه الله ورسوله مثل تعلم الفقه والحديث ، ولا يؤودي هذا الإنتساب إلى تعصب حول شخص معين فلا مانع من ذلك (والإنتساب قد يكون محموداً شرعاً مثل المهاجرين والأنصار وقد يكون مباحاً كإنتساب إلى القبائل والأماكن بقصد التعريف فقط ، وقد يكون مكروهاً أو محظياً كإنتساب إلى مايفضي إلى بدعة أو معصية) ^(٥) .

٥ — إن الكتب التي صنفت في هذه الفترة والتي ذكرنا بعضها منها ، هذه الكتب كان للعلماء فيها رأى ، قال ابن الجوزي عن كتاب (قوت القلوب) : ذكر فيه الأحاديث الباطلة والموضوعة ، وقال عن (حلبة الأولياء) لأبي نعيم : لم يستحق أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة ^(٦) . وسئل أبو زرعة عن كتب المحاسبي فقال : إياك وهذه الكتب ، فقيل له : في هذه عبرة ، قال : من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة ^(٧) .

١ — الفتاوى ١١ / ٥٣٤ ، والمقصود بـ (لا يحضره) مايسعى عند الصوفية بالسمع .

٢ — ابن تيمية : اقتداء الصراط المستقيم / ٧١ .

٣ — تلبيس إيليس / ١٦٥ .

٤ — نفس المصدر / ١٦٧ .

هل قاله ؟ والجندid الإستقامة غالبة عليه » (١) .

الفصل الثالث

المصطلحات والمفهوم

إن أي انحراف عن السنة — ولو كان قليلاً — وبالمعنى الشمولي للسنة لابد أن يزداد ، وتأتي الرواقي من هنا ومن هناك باجتهادات خاطئة أو تصورات باطلة ، فتتسع رقعة الباطل ، ومن العسير عندئذ عودة أصحابه إلى الجادة المستقيمة إلا أن يشاء الله ، وعند تبعنا للجيل الأول من الصوفية وجدنا أن الطابع الغالب عليهم هو التشدد في ترك الدنيا ، وقهقر النفس بالجوع والسهر والتعمر . ثم جاءت المرحلة الثانية أو الطبقة الثانية من الصوفية فمهدت للانحراف الكبير عندما تبنت مصطلحات خاصة بها ، فيها إيهام وغموض مما يسوغ تفسيرها كل حسب ما يريد ، وكل حسب أهوائه . ولم يعلموا أن من أسباب ضلال من ضل من الأمم السابقة هو عدم تحديد معاني بعض الكلمات تحديداً دقيقاً ، مع أنها تحتمل الحق والباطل والخطأ والصواب ، فينشأ عن ذلك البس والإضطراب ، وكأن الجميع لا يتكلمون لغة واحدة .

وكان من فضل الله على المسلمين أن حذرهم في كتابه الكريم من اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وطلب منهم أن يردوه إلى المحكم حتى لا تضرب آيات الكتاب بعضها ببعض . فإذا كان سبحانه قد أضاف إلى نفسه بعض مخلوقاته فهي إضافة تشريف

هذه هي حال الطبقة الأولى فيها زهد مشروع خلط بغير المشروع مع أن أحوالهم في العبادة والأذكار والبعد عن الرياء أحوال عالية ، ثم تطور الأمر بعد هذا بإدخال مصطلحات فيها حق وباطل أو تحتمل هذا وذاك وزاد الإنحراف واتسعت الفرجة والبعد عن السنة وهو ما مستكلم عنه في الفصل القادم إن شاء الله .

١ - منهج ابن تيمية رحمة الله في الجندid وأمثاله من أوائل الصوفية هو الإنذار عن بعض كلماتهم أو استبعادها لما يرى من صدقهم في عبادتهم ، وهذا منهج سليم حيث يغلب الإحتياط للدين المسلم حتى لا يقع في الرجال . ولكن عندما ننظر إلى مجموع ما نقل عن الجندid ونظرياته فإن الأمر يختلف ، فإن كثرة ماراوي عنه تشجع على اعتباره من مؤسسي التصوف .

عنها في الفصل القادم إن شاء الله ، وهذا هو فناء الملاحدة الذين لا يفرقون بين خالق ومخلوق ، وقد تعني وجهاً بدعياً وهو أن يغيب عن الناس والخلق ولا يشهد سوى الله ، بل يغيب حتى عن عبادة الله وسيميه الصوفية (الفناء عن شهود السُّوَى) كما يسمونه سُكراً واصطلاحاً ومحواً وجمعـاً ، وهذا إذا عاد إليه عقله يعلم أنه كان غالطاً في ذلك ، وأن الرب رب ، والعبد عبد ، كما يحكى عن أبي يزيد البسطامي ^(١) أنه قال : « سبحانى مأعظم شأنى » ويعتذر البعض عنه بأنه كان في حالة سقوط الشعور والتمييز ^(٢) ، فهذا الفناء فيه حق وباطل ، فالحق هو الفناء عن حب ماسوى الله والباطل منه هو عدم الشعور والعلم بحيث لا يفرق صاحبه بين نفسه وبين غيره ، وقد يؤدي به إلى الكفر الصريح ، فعندما تحدث أبو الحسين التوري (ت ٢٩٥) عن فناء صفات العارف كان ذلك تميضاً وإراهاضاً لفناء ذات العارف وهو الإتحاد مع الله وهذا كفر ، قال الإمام الذهبي : [فإن الفناء والبقاء من ترهات الصوفية ، دخل من بابه كل إلحادي وكل زنديق ، وأراد قدماء الصوفية بالفناء نسيان المخلوقات وفناء النفس عن التشاغل بما سوى الله ، ولا يسلم إليهم هذا أيضاً ، بل أمرنا الله ورسوله بالتشاغل بالمخلوقات ورؤيتها والإقبال عليها ، وتعظيم خالقها ، قال عليه السلام : (حب إلى

١ - هو طيفور بن عيس ، كان جده مجوسياً فأسلم ، حكى عنه شطحات ناقصات ، ومن العلماء من يدّعه وخطأه بسيئها لأنها تدل على اعتقاد فاسد . انظر : سير أعلام النبلاء ١٣ / ٨٨ ، البداية والنهاية ١١ / ٣٥ .

٢ - الإعتذار عن هذه الشطحات مشكلة ، المسلمين لهم الظاهر ، ومن تكلم بكلمة الردة و قال أنا أقصد غير ذلك كفر ظاهراً وباطناً ، ويجب أن تمنع مثل هذه الكلمات حتى لا تستغل سبباً للإنحراف والكفر . انظر : تبيه الغبي إلى تكفير ابن عربى للعلامة برهان الدين البقاعي .

إضافة أعيان كما في قوله سبحانه عن عيسى عليه السلام ﷺ وروح منه ﷺ أو ﷺ ناقة الله ﷺ أو ﷺ سخر لكم مافي السماوات وما في الأرض جميعاً منه ﷺ ^(١) ، ويقى أمثال قوله تعالى ﷺ لم يلد ولم يولد ﷺ من الآيات المحكمات .

ولذلك قال الإمام أحمد رحمه الله : بكلمة (لكن) كان عيسى عليه السلام وليس هو الكلمة نفسها . وقال تعالى في حق بنى إسرائيل ﷺ ولاتلبسو الحق بالباطل ^(٢) فنهاهم سبحانه عن خلط الحق بالباطل فلتقبس الأمور على الناس فيزيفون ويهلكون .

إن قضية تحديد معنى الألفاظ المجملة والمتحتملة للخطأ والصواب أمر مهم جداً ، وقد وقع المتضوفة في هذه المشكلة فتحذثوا عن : الفناء والبقاء ، والصحو والمحو ، والتجريد والتفريد ... الخ هذه المختبرات ، وهي ألفاظ مجملة تحتمل الحق والباطل ومثلهم في هذا كمثل علماء الكلام الذين جاءوا بالمصطلحات اليونانية (كالجوهر والعرض والجسم والتحيز ، والعلة والمعلول ، والواجب والممكن ...) وأرادوا شرح العقيدة الإسلامية بهذه القوالب المستوردة للتوفيق بزعمهم بين الشريعة والفلسفة ، بينما العقيدة الإسلامية لها مضمونها الخاص وشكلها الخاص وهي تأبى كل الإباء لهذا التلفيق .

إن عبارة (الفناء) مثلاً قد تعني وجهاً باطلاً وهو ما يسمونه (الفناء عن وجود السُّوَى) أي ليس موجوداً إلا الله سبحانه ، وكل ماعداه ليس له وجود حقيقي ، وهذه هي وحدة الوجود التي ستتكلم

١ - سورة الجاثية / ١٣ .

٢ - سورة البقرة / ٤٢ .

درجة العارف فقال : « التحير ثم الإنكار ثم الإتصال ثم التحير »^(١) والحقيقة أنها تحيرنا من مصطلحاتهم هذه التي اخترعواها لايستطيعوا تفسيرها حسب أهوائهم ، ولتتابع تعريفاتهم ؛ قالوا في تعريف اليقين : (اتصال بين وانفصال ما بين البين)^(٢) ولأندرى هل هذا كلام عقلاً أم خباء يريدون تشويش الذهن الإسلامي لإبعاده عن العقيدة الإسلامية الواضحة ، وعندما يكتشفون ويقال لهم : لماذا اشتقتكم الفاظاً أغربتم بها على السامعين وخرجتم عن اللسان المعتمد ؟ وهل هذا للتمويه وستر عوار المذهب ؟ يجيبون : مافعلنا هذا إلا لغيرتنا على المذهب كي لا يشربها غير طائفتنا^(٣) .

قال ابن الأعرابي : « إذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع والفناء أو يجيب فيما فاعلم أنه فارغ ». قال الذهبي : « أي والله دققوا وخاضوا في أسرار عظيمة مامعهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال »^(٤) . وحتى يتم التمويه قالوا : إن لنا علماً خاصاً ليس عند غيرنا وهو علم الإشارة وذلك لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ، واستندوا في ذلك إلى حديث مكذوب : « إن من العلم كهيئة المكتون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله ، فإذا نطقوا به لم ينكروه إلا أهل الغرة بالله »^(٥) .

وعن طريق علم الإشارة يمكن تفسير القرآن تفسيراً خاصاً ليس له ضابط ولارابط ، ويمكن تأويل كل نص وكل حديث ليتمشى

- ١ - التعرف / ١٣٣ .
- ٢ - التعرف / ١٠٣ .
- ٣ - التعرف / ٨٩ .
- ٤ - سير أعلام النبلاء / ١٥ / ٤١٠ .
- ٥ - التعرف / ٨٧ .

من دنياكم النساء والطيب)^(٦) وكان يحب عائشة ويحب أباها ، ويحب أسماء ، ويحب سبطية ، ويحب الحلواء والعسل ، ويحب وطنه ، ويحب الأنصار []^(٧) .

والنوع الثالث من (الفنان) هو مايسمونه (الفنان عن إرادة السُّوَى) وهذا صحيح ، فهو لا يحب إلا في الله ولا يوالى إلا فيه ولا يبغض إلا فيه^(٨) ، وإن لم يسلم لهم التعبير أيضاً لاشتباهم واشتراكه مع سواه مما هو محدث مغلوط . ومن مصطلحاتهم : (الجمع والتفرقة) وقد شرح العجز جانبي هذا المصطلح فزاده غموضاً قال : « الفرق مانسب إليك والجمع ماسلب عنك »^(٩) وقال الherozi « الجمع هو آخر المنازل والتوبة أولها »^(١٠) مع أن العبد أحوج ما يكون إلى التوبة في نهايته .

وقالوا في (السكر) : هو أن يغيب عن تمييز الأشياء ، و (الصحو) : رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيته وزوال إحساسه^(١١) .

واستحدثوا كلمة العشق وهذا لا يوصف به الرب تبارك وتعالى ولا العبد في محبته ربه^(١٢) . وسئل ذو النون المصري عن أول

-
- ١ - جامع الأصول ٤ / ٧٦٦ ، قال : أخرجه النسائي وأحمد . وقال المحقق : إسناده حسن .
 - ٢ - أعلام النبلاء ١٥ / ٣٩٣ .
 - ٣ - انظر تحقيق هذا الموضوع في مدرج السالكين ١ / ١٥٤ .
 - ٤ - مدرج السالكين ٣ / ٤٣٦ .
 - ٥ - مدرج السالكين ٣ / ٧٧ .
 - ٦ - التعرفات / ١٣٢ .
 - ٧ - مدرج السالكين ٣ / ٢٩ ومن أوائل من تكلم عن العشق والقرب أبو حمزة البغدادي المتوفى سنة ٢٨٩ .

اقتضت حكمته ربط المسبيات بأسبابها فالتوكل امثال لأمر الله فكيف يكون من مقامات العامة^(١) . وقال أبو سعيد الخراز : « كنت في الbadia فتالني جوع شديد فطالبتني نفسي بأن أسأل الله طعاماً ، قلت : ليس هذا من فعل المتكلين »^(٢) فهذا الشيخ خالف السنة في الخروج إلى الbadia دون زاد وفهم التوكل فيما خاططاً . وقال أحمد بن أبي الحواري : « سمعت أبا سليمان الداراني يقول : لو توكلنا على الله تعالى مابيننا الحيطان ولاجعلنا لباب الدار غلقاً مخافة اللصوص »^(٣) وإذا صح هذا عن أبي سليمان فهذا خطأ لأن الرسول عليه السلام بنى الحيطان وأخذ بالأسباب وسيرته العملية أوضحت مثال على ذلك وقلة العلم أوجبت هذا التخليل^(٤) . وقلة العلم بهذه هي عدم فهم السنن الكونية وأن الله سبحانه جعل لكل شيء سبباً ولذلك قيل : إن ترك الأسباب ضعف في العقل والإعتماد على الأسباب وحدها شرك ، والصوفية ظنوا أن من أعلى مقامات ترك الأسباب وهذا جهل بحقيقة الإسلام ، وانسحب هذا الفهم الخاطئ على الدعاء فقالوا : (علمه بحالتي يغنى عن سؤالي) مع أن الله سبحانه يحب من عبده الدعاء وقد جعله سبباً للإجابة ، قال أبو سعيد الخراز « بينما أنا عشية عرفة نازعتي نفسي بأن أسأل الله تعالى فسمعت هاتقاً يقول : أبعد وجود الله تسأل الله غير الله »^(٥) فانظر إلى هذا الفهم الصوفي ! من توكلهم بزعمهم أنهم تركوا الإكتساب وهذا من أبين الخطأ والبعد عن المنهج الصحيح ، والأنباء كانوا يعملون بأيديهم وبالتجارة وبرعي الغنم ، وأخشى أن تكون هذه حيلة للبطالة والكسل .

٢ - التعرف / ١٥٠ .
٤ - ثيس إيليس / ٢٧٨ .

١ - مدارج السالكين ٢ / ٤٧٨ .
٣ - ثيس إيليس / ٢٧٨ .
٥ - التعرف / ١٥٠ .

مع ما قررته ، وكل شيء يفعل أو يقال يمكن إحالته على الذوق ، وأن هذا الشيء لا يفهم إلا من سلك هذا الطريق وأن الآخرين محظيون ، ولو كان الاحتجاج بالذوق صحيحاً لاحتاج كل مبطل على باطله ، فالملحد يذوق طعم الإتحاد والحلول ، والرافضي يذوق طعم الرفض ، وأنت تجد النصراني في تثلثه له ذوق بحيث لو عرض عليه أشد العذاب لاختاره دون أن يفارق تثلثه^(٦) . وهكذا تقلب الموازين وتتغير الحقائق ويسمى تعذيب البدن جوعاً ، والقصور عن الكسب توكلًا وأن هناك فرقاً بين الشريعة والحقيقة^(٧) ، وكأن هناك أموراً سرية يريدون الإحتفاظ بها كي لا يشار إليهم بأصابع الإتهام ، وإلا فما تفسير هذا الميل نحو الغموض؟ ربما لأن التفكير السليم فيه صعوبة وفيه دقة وأما الشطحات والمبهمات ففيها راحة وبعد عن الواقع .

تميزت هذه المرحلة أيضاً بما يسمونه مقامات كمقام التوكل والرضا الذي له صلة بموضوع القضاء والقدر ، وهذه الأخطاء استمرت فيما بعد بل زادت .

إن التوكل عندهم من مقامات العامة وهو الأخذ بالأسباب ، وهم لا يأخذون بالأسباب بل مستسلمون للأقدار . قال الheroi : « التوكل في طريقه الخاصة عمى عن التوحيد ورجوع إلى الأسباب » كما قال ابن القيم : « بل التوكل حقيقة التوحيد ، ولا يتم التوحيد إلا به ، وإنه من مقامات الرسل وهم خاصة الخاصة ، فإن الله سبحانه

١ - مدارج السالكين ٣ / ٤٤٢ .
٢ - انظر : سميح الزين : الصوفية .

ويصحح إلا عندما لا يجد للإعتذار مساغاً ، ولذلك وصف هذه المصطلحات أصدق وصف وأدقه حين قال : « وإذا تأمله العارف وجده كلام جمل غث على رأس جبل وعر ، لاسهل فيرتقى ولاسمين فينتقل ، فيطول عليك الطريق ، ويتوسع لك العبارة ، ويأتي بكل لفظ غريب ، ومعنى أغرب من اللفظ ، فإذا وصلت لم تجد معك حاصلاً طائلاً ، ولكن تسمع جمجمة ولاترى طحناً » (١) ، هذه الجمجمة التي أدت سوء عن قصد أو غير قصد إلى المرحلة الثالثة التي هي أخطر مراحل الصوفية وأبعدها عن الإسلام ، وهو ما سنوضحه في الفصل القادم إن شاء الله .

١ - مدارج السالكين ٢ / ٤٣٧ .

وأما مقام الرضا فيفسر على أنه الإسترداد مع القدر ، فيكون مستسلماً لما يأتي من عند الله من غير اختيار ، « وهذا يحسن في حال ويحرم في حال فيحسن في حال جريان الحكم الكوني [أي أن يكون الشيء مقدراً دون إرادة المسلم كالمرض والفقير والمصاب] ويحرم في حال جريان الأمر الديني فالإسترداد مع القدر هنا هو انسلاخ من الدين) (١) ومن أركان التصوف عندهم « ترك الاختيار » (٢) . وتستطيع أن تقيس على هذا بقية المقامات والأحوال التي ترد عليهم والتي قل أن تسلم من تأويل أو تحريف أو فهم خاطيء وهو الذي أوقع بهم في هذه التهلكات ، حتى أن مثل صاحب « منازل السائرين » يعتبر التكاليف الشرعية أقل مرتبة من رياضاتهم فيقول « ويطوي — يعني السالك على طريقهم — خسدة التكاليف » قال ابن القيم معلقاً : « والله إن هذه اللحظة لأصبح من شوكة في العين وحاشا التكاليف أن توصف بخسدة وإنما هي قرة عين وسرور قلب وحياة روح » (٣) . والحقيقة أنهم تاهوا في بداء الحيرة والتشويب وضاعوا في أغزار ومعيقات « الوارد والبادي والعطش والدهش » ، وجمع الجمع وجمع الوجود ، والتجليل والتخلي ، وخاضوا بحار العلم وما باتلت أقدامهم ولذلك منعوا من النور الموروث عن الرسل فرجين بما عندهم من العلوم ، فهم في واد ورسول الله وأصحابه في واد » (٤) .

وابن القيم رحمه الله لا يقول جزاً ولا يتمهم اعتباً ولا هو مت指控 ضدتهم ، بل هذا هو الواقع ، وهذا كلامهم من كلامهم ، وهو كثير الإعتذار عن الشيخ الheroic صاحب (منازل السائرين) ولا ينتقد

١ - مدارج السالكين ٢ / ١٢٩ .
٢ - مدارج السالكين ٢ / ١٥٤ .
٤ - مدارج السالكين ٢ / ٤٣٧ .
٣ - التعرف / ٨٩ .

الفصل الرابع

الصوفية الوجودية

تعتبر هذه المرحلة من أخطر مراحل الصوفية ، حيث تسربت إليها الفلسفة اليونانية فابعدت بها عما سبقها من مراحل التصوف بل جعلتها من الصوفية الخارجة عن الإسلام فكانت شبيهة بالنصرانية عندما دخلها الروم ومزجوها بالثلث والفلسفة ولذلك قيل إن النصرانية ترورت ولم يتضرر الروم ، بل نستطيع أن نجزم من خلال استقراء ماطراً على الرسائل السماوية التي بذلت وحرفت كاليهودية والنصرانية أن للفلسفة دوراً كبيراً في هذا التبديل ؛ فبسبب نقد الفلاسفة للنصوص التوراتية واتهامها بأنها ساذجة أو أساطير ، تحت هذا الضغط راح علماء اليهود يأولون النصوص تأويلاً رمزية كما فعل (فيلون) اليهودي ، فأولوا إبراهيم عليه السلام بأنه التور وروجته سارة بأنها الفضيلة وهكذا فعلوا بقصة آدم وحواء وقصة ابني آدم وقصة يوسف عليه السلام . ومن (فيلون) انتقلت طريقة التأويلي الرمزي إلى النصرانية خصوصاً عندما هاجمها رجال الأفلاطونية المحدثة وممثلوا الثقافة اليونانية ، وأقر رجال اللاهوت النصراني على أنه ورد في الأنجليل أشياء غير معقوله فأولوها تأويلاً يرضي عنه الفلاسفة^(١) .

١ - انظر البحث الذي كتبه د. عبد الرحمن بدوي عن التأويل بالباطن وأثره في التوراة والإنجيل في كتابه مذاهب الإسلاميين الجزء الثاني .

وفي الإسلام جاء تأثير الفلسفه بعد ترجمة الكتب اليونانية لكتاب « التاسوعات » لأفلاطين الإسكندرى ، نقله إلى العربية عبد المسيح بن ناعمة الحمصي بعنوان « الأنثولوجيا » أي الربوبية^(١) ، كما ترجم كتاب « أنثولوجيا » لأرسطو طاليس وفيه نظرية الفيض والإشراق التي ستلعب دوراً خطيراً في التصوف خصوصاً عند السهروري^(٢) وابن عربي^(٣) . وتحت ضغط الفلسفه قام المعتزلة بمحذف أو تأويل كل نص ينافي العقل – بزعمهم – كما غرقوا في الجدل العميق الذي يدور حول الفاظ (الجوهر – والعجز الذي لا يتجزأ – والجسم – والتحيز و ... الخ) ، ومثلوا دور الترف الفكري أحسن تمثيل ، فانحرفوا بذلك عن الإسلام العملي الإيجابي :

وأما الصوفية فقد دخلت عليهم الفلسفه من باب (التشبه بالإله على قدر الطاقة) فحاولوا إثبات تشبه العبد بالرب في الذات والصفات والأفعال ، كما فعل الغزالى في (المضنوون به على غير

١ - أحمد أمين : ظهر الإسلام ٤ / ١٥٦ .

٢ - يحيى بن حشى بن أميرك السهروري من مؤيدي فلسفة الإشراق التي من زعمائها أفلاطين ، ثبت عليه الانحلال من الدين وادعاء النبوة فأفتش علماء حلب بكفره وقتل سنة ٥٨٧ هـ انظر الذهبى : سير أعلام البلاط ٢١ / ٢٠٧ ، وبذوى : شخصيات قلقلة / ٩٥ .

٣ - هو أبو يكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمى الطائى الأندلسى ، ولد (بريسة) سنة ٥٦٠ هـ ونشأ بها ثم ارتحل وطاف البلدان فجاء بلاد الشام والروم والشرق ودخل بغداد ، كان يكتب الإنماء لبعض ملوك المغرب ، اختلف الناس في شأنه فذهب طائفة إلى أنه زنديق وقال آخرون إنه ولد ولكن يحرم النظر في كتبه ، وال الصحيح أنه اتحادي حيث ، ولم يشتهر أمره وكتبه إلا بعد موته لأنه كان منقطعاً عن الناس ، إنما يجتمع به أحد الإتحادية ولهذا تماهى في أمره ثم فضح و هتك ، توفي سنة ٦٣٨ هـ . انظر : شذرات الذهب لابن عمار ٥ / ١٩٠ والباقاعي / ١٧٨ ، وبذوى : تاريخ التصوف / ٤١ .

كائن هو الله والله هو كل كائن فاتحد بذلك الوجود مع الخالق المعبود ، وتم له مآراد من هدم صرح التوحيد وكان هذا القول أشد شركاً من قول النصارى ، إذ أن الكل في هذا التصور المريض إله يعبد .

ويحاول ابن خلدون شرح فكرة ابن عربي ، إذ أن هذه التصورات الباطلة عادة ماتكون غامضة متناقضة حتى على أصحابها ، يقول ابن خلدون : «يعنون بهذه الوحدة أن الوجود له قوى ذاتية فالقوة الحيوانية فيها قوة المعدن وزيادة ، والقوة الإنسانية فيها قوة الحيوان وزيادة ، والفلك يتضمن الإنسانية وزيادة ، وكذلك الذوات الروحانية (الملائكة) ثم القوة الجامعة التي انبثت في جميع الموجودات ، فالكل واحد هو نفس الذات الإلهية »^(١) .

وحين يرد السؤال : كيف يقال بوحدة الوجود ؟ وهناك خالق ومخلوق ومؤمنون وكفار والكافار يعذبون في النار فمن الذي يعذبهم ؟ .. حتى لا يرد هذا السؤال راح ابن عربي يحرف كل آيات القرآن الكريم ويطبق باطننته وكفره في كتابه (فصوص الحكم) فموسى عليه السلام لم يعاقب هارون عليه السلام إلا لأن هارون أنكر علىبني إسرائيل عبادة العجل ، وهم ما عبدوا إلا الله لأن الله قضى ألا نعبد إلا إيه ، ولذلك كان موسى أعلم من هارون^(٢) . والريح التي دمرت عاد هي من الرحمة لأنها أراحتهم من أجسامهم المظلمة وفي هذه الريح عذاب وهو من العذوبة^(٣) . ويحكم ابن عربي

- ١ — المقدمة / ٤٧١ .
- ٢ — الباقي / ١٢٠ نفلاً عن فصوص الحكم — فص رقم ١٩٢ .
- ٣ — المصدر السابق / ٩٥ — فص رقم ١٠٩ .

أهله) ومن مشي خلفه^(٤) ، ثم جاء ابن عربي وتلامذته فقالوا بالوحدة المطلقة ، لأن الفلسفه يقولون : الوجود الحقيقي هو للصلة الأولى (الله) لاستغاثاته بذاته ، فكل ما هو مفتقر إليه فهو وجود كالخيال . ومن هنا نشأت نظرية « وحدة الوجود » عند ابن عربي وقد انطلقت ابتداء مما يرددده الصوفية بشكل عام من أن الموجود الحق هو الله سبحانه ، ويعنون بذلك أن الموجودات والكائنات إنما هي صور زائفة ومجرد أوهام وليس ذاتاً منفصلة قائمة بنفسها ، فمثلها لا يستحق أن يطلق عليه الوجود الحقيقي^(٥) ، ولكنها حرف عند ابن عربي عن مفهومها لدى الصوفية بحيث انتهى إلى القول بوحدة الوجود فقال أن الوجود الحقيقي هو الله سبحانه ، ولكننا نرى هذه الكثرة والتعدد قائمة أمام أعيننا فلا يمكن إنكارها ومن ثم فهذه الموجودات كلها ليست سوى الله ذاته — تعالى الله عما يقول الطالمون علواً كبيراً — وكلها مظهر من مظاهره وتجل من تجلياته ، وليس آية من آياته كما مفهوم أهل السنة ، فحقيقة الرب إذن أنه وجود مطلق لاسم له ولا صفة ولا يرى في الآخرة ، وليس له كلام ولا علم ولا غير ذلك ولكن يرى في الكائنات^(٦) فكل

١ — ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل / ٥ / ٨٢ .

٢ — بعض المفكرين في هذا العصر — وهو من أهل السنة — من أطلق عباره : أن الموجود والحق هو الله سبحانه وإنماقصد بذلك معنى لاصدام الشرع وهو أن الله سبحانه هو البادي السرمدي بخلاف الموجودات القانية التي لا تستطيع القيام بنفسها بل هي مستدنة إلى وجود الله سبحانه ، وهو معنى وإن لم يصادم الشرع إلا أنه مدخل لكثير من التصورات التي قد تؤدي لل الوقوع في البدعة ، والإلتزام بالألفاظ الشرعية أولى وأهل السنة يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى حق قيوم على مخلوقاته ، وأنه خلق الكائنات وجعل لها ذاتاً منفصلة لاعلاقة لها بذاته ، وهي موجودة حقيقة وليس صوراً أو أوهاماً وأنها تفنى في هذه الحياة الدنيا ، وأن وجودها مستقل عن الخالق المعبود .

٣ — انظر الباقي في كتابه : تبيه الغي / ١٩ / ٤٠ وابن تيمية في الإيمان الأوسط / ١٣٢ والشوكاني في قطر الولي / ١٩٠ .

موجود فهو الله ، تعالى الله عن قولهم علوأً كبيراً ، وقاتلهم الله على هذا الإفك المبين^(١) .

هذا الكلام من الفلسفه كان الإرهاص الذي أدى بان عربي إلى القول بوحدة الوجود ، وإن كان مذهبة أكثر شرًّا من مذهب الفلسفه ، خاصة وأنه حرف آيات القرآن لتنسجم مع نظرية الباطلة وخاصة أن كثيراً من المسلمين المغفلين من يعظمه ويسميه « الشیخ الأکبر » .

طبعاً هناك روافد أخرى أوصلت هؤلاء الناس إلى هذا القول الشنیع الذي يعتبر من أشد المخالفات للإسلام وعقيدة التوحيد ، ومن هذه الروافد الفناء الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق ، كما أن نفي صفات الله التي قالت بها الجهمية ، وانتشر شيء من أثرها في صفوی المسلمین ، يمكن أن يساعد على نظرية الوحدة ، إن نفي صفة العلو مثلاً سیؤدي إلى القول بأنه سبحانه في كل مكان ، ثم وزعوه في الموجودات كلها ، ومع ذلك فسيبقى للفلسفه الدور الأکبر في محاولة تخريب العقيدة الإسلامية الصافية السهلة ، بل بتخريب المجتمعات الإنسانية ، لأنها تقوم على نظريات في الذهن وليس في الواقع ، وهذا مما حدا بعالم كبير كابن تيمیة أن يقول محذراً منها بعد أن نفذ إلى أعماقها : « ولاشك أن كل من كان أقرب إلى الشرائع السماوية كان أقرب إلى العقل ومعرفة الحقيقة .

١ - انظر : الشیخ مصطفی صری : موقف العقل والعلم والعالم من الله رب العالمين الجزء الثالث حيث وضح رحمة الله أثر الفلسفه في نظرية ابن عربي .

بإیمان فرعون بقوله تعالى : « قرة عین لي ولک ۝ فکان قرة عین لفرعون بالإیمان الذي أعطاه الله عند الفرق^(٢) . وهكذا راح يبعث فساداً في بقية قصص الأنبياء ومن شاء فليرجع إلى كتبه ففي كل سطر سيجد رائحة (وحدة الوجود) . وكلامه هذا في الحقيقة هو إبطال للدين من أصله لأن وعد الله للکفار لا يقع منه شيء فهو وتلامذته يتسترون بإظهار شعائر الإسلام وإقامة الصلاة والتزی بزی النسك والتکشف وتزویق الزندقة باسم التصوف^(٢) .

فالفلسفه لم يقولوا بوحدة الوجود على طریقة ابن عربي ولكنهم هم الذين مهدوا الطريق لهذه النظرية الباطلية بقولهم على الله ما لا يعلمن ووصفهم إياه بصفات من نسج خيالهم ، وهذا كله بسبب بعدهم عن الشرائع السماوية والأخذ من نور الأنبياء ، ولذلك تخيلوا الإله ذاتاً بسيطة متزهة عن أي شائبة من شوائب التركيب ، والصفات مثل العلیم القدير السميع البصير هي عندهم تركيب ، فقالوا أن من أحق صفاته (الوجود) وإذا قيل لهم وجود أي شيء ؟ فالجواب ليس بوجود شيء ، فهو هكذا وجود بلا أية صفة فليس هذا الوجود هو الله سبحانه الذي نعرفه نحن المسلمين والذي أرسل الأنبياء ونزل الكتب ، وإنما هو عندهم وجود مطلق بلا أية صفة ، وطبعاً هذا لا يكون إلا تصورات باطلة في أذهانهم وهو غير الواقع . وبما أن هذه الصفة (الوجود) هي أخص وصف لله ، تركب في عقولهم أن كل وجود هو واجب مثل وجود الله ، وبما أن العالم

١ - المصادر السابق ١٢٨ وفي هذا المقام لابد من القول بأن اعتذار البعض عن ابن عربي بأنه يقصد كلنا أو كلنا وليقولون كلامه ، هذا غير مقبول . قال العراقي « لا يقبل من اجترأ على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقول أردت بكلامي هذا خلاف ظاهره ولا يقول كلامه ولاكرامته » .

٢ - انظر : تبی الغی الى تکفیر ابن عربي للشیخ برهان الدين الباقاعی .

ولعله من المناسب قبل أن ننهي هذا الفصل أن نذكر رأي بعض العلماء في ابن عربي وتلامذته باعتباره زعيم هذه المدرسة الوجودية.

قال الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في ابن عربي : « هو شيخ سوء مقبوح كذاب ، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً »^(١) ويروي ابن تيمية عن الشيخ ابراهيم الجعبري أنه كان يقول : «رأيت ابن عربي وهو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله ، وبكل آنني أرسله الله »^(٢).

وقال ابن تيمية^(٣) : ورأيت بخطه في كتابه (الفتوحات المكية) هذين البيتين :

الرب حق ، والعبد حق يالٰت شعرٰي من المكْلَف
إن قلت عبد ، فذاك رب أو قلت رب آتى يكْلَف
و يقول البقاعي قاطعاً الطريق على من يُؤُول لابن عربي :
« قال الأصوليون : لو نطق بكلمة الردة وزعم أنه أضمر توربة ، كفر ظاهراً وباطناً »^(٤).

ومن تلامذة ابن عربي ابن الفارض^(٥) الذي يؤكّد وحدة الوجود دون خجل أو مواربة ، وفي قصيده المشهورة (بالتأمّلية)

١ - الفتاوى لابن تيمية / ٢٤٠ .

٢ - نفس المصدر / ٢٤٠ .

٣ - الفتوى / ٢٤٢ .

٤ - تبيه الغني / ٢٣ .

٥ - هو عمر بن علي بن مرشد الحموي الأصل المصري المولد ولد سنة ٥٦٦ اشتغل بالفقه في أول حياته ، ثم ترك ذلك واستأند أباه في السياسة فذهب إلى مكة وانقطع هناك . ثم رجع إلى مصر ، وشرح تأثيثه السراج الهندي الحنفي والجلال القزويني الشافعى توفي سنة ٦٣٢ ودفن بالمقطم : انظر : شذرات الذهب ٥ / ١٤٩ .

وهلرأيت فيلسوفاً أقام مصلحة قرية من القرى »^(١) . وهو هنا يلتقي مع مفكر غربي هو الدكتور الكسندر كايل الذي يرى أن الفلسفة أساءت كثيراً للمجتمعات الغربية حين كانت تنظر في الكتب فقط دون معرفة الواقع العملي ، يقول : « ليس هناك مذهب فلسفى قط استطاع أن يحظى بقبول جميع الناس ، وكل استبطانات الفلسفه ماهي إلا فروض »^(٢) ويتابع نقهه للفلسفة : « كان من الممكن للعلم أن يكفل لنا نجاح حياتنا الفردية والإجتماعية ولكننا فضلنا نتائج التفكير الفلسفى فارتضينا أن نأسن وسط المعانى المجردة ، ولاشك أن فلاسفة عصر النور هم الذين مكنوا لعبادة الحرية بصورة عميماء في أوروبا وأمريكا »^(٣) .

إذن فالمشكلة واحدة في القديم والحديث ، فعندما يتبع الناس عن الشرائع السماوية التي جاءت لخير الإنسان في الدنيا والآخرة ، تأتيهم الأزمات تلو الأزمات ، أزمات اجتماعية وسياسية واقتصادية ، نتيجة هذا الفصم النكد بين ما فطر الإنسان عليه من التوجّه إلى بارئه وبين شياطين الإنس وما يوحون به ويفيدو أن النفس الإنسانية يصعب عليها الإستمرار في طريق الإعدال فهي إما أن تميل إلى التشدد والغلو أو إلى التساهل والتراخى والخروج عن التكاليف وقد يسول الشيطان لمن أحسن من نفسه زيادة فهم أنه إن رضي في علمه ومذهبه بظاهر السنة كان مثل العامة ولذلك لابد من التنطبع والتبدع والإتيان بالغرائب وهذه شهوات خفية لا يدركها ولا يتبع عنها إلا العلماء الربانيون .

١ - درء تعارض العقل والنقل ٥ / ٦٥ وابن تيمية هنا يقصد الفيلسوف الذي يعيش بنظريات بعيدة جداً عن الواقع ويعيش بعيداً عن واقع الناس ، ومشكلة الفلسفة أنهم يعالجون أموراً ليست من اختصاصهم ، وقد جاء الأنبياء والرسول بحلها بأقرب السبل وأيسراها .

٢ - تأملات في سلوك الإنسان ١ / ٤٧ . ٣ - المصدر السابق ١ / ٧ .

يعيد هذه الفكرة ويكررها حتى لا يقى شك عند القارئ أو السامع
مثل قوله :

لها صلاتي بالمقام أقيمها وأشهد أنها لي صلت
كلانا مصل عابد ساجد إلى حقيقة الجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي فلم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة
ومازلت إياها وإياي لم تزل ولافرق بل ذاتي لذاتي أحبت

فهل بعد هذا من تصريح ، صلاته لنفسه لأنها هي الله والعياذ
بالله ، وحتى لا يظن أحد أن هذا (سُكُّر) الصوفية ، يؤكد أنه في
حالة صحو :

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها
وذاتي بذاتي إذا تجلت تجلت

ولايزال الصوفية إلى الآن يعججون بهذه التائبة ويسخون صاحبها
(سلطان العاشقين) رغم ما فيها من كفر ، ورغم ما يقولون عنه أنه
كان يحب الجمال ، وأنه كان يذهب إلى قرية (البهنسا) فيرقص
على الدف مع النساء وهكذا يدخلون على الناس ويقولون بأن هذا
الرقص من الدين والحقيقة أنها مواхير يخجل منها أي مسلم استروح
رائحة الإسلام ، لقد ابتلي المسلمين بمن فسد من هؤلاء الصوفية
فيهم أو هاماً قد تملك الجاهل وتربك العاقل إذا لم يغلبها
بالتمسك بمنهج أهل السنة من الصحابة والتبعين رضوان الله عليهم .

تمهيد :
وقد وقع المتتصوفة في بدع علمية وعملية ونعني بالعلمية الأمور
النظيرية التي اعتنقوها وابتعدوا فيها في العقيدة الإسلامية وأما الأمور
العملية فهي الشعائر التي يمارسونها عملياً والتي ابتعدوا فيها أيضاً
عن المنهج الإسلامي الصحيح .

وبما أن العمل تابع للعلم فقد قدمنا الكلام عن البدع
العلمية ، فمن انحرف وابتعد في العلم فسوف يخرج في العمل ،
وهم لم ينحرفوا علمياً إلا بعد أن ابتعدوا عن منهج أهل السنة
والجماعة في الإستدلال والنظر واختروا أشياء أدت بهم إلى ماوصلوا
إليه .

وتسمية هذا الإنحراف بيعة لا يخفى من خطره ، فقد تكون

البدعة صغيرة وقد تكون كبيرة تصل إلى حد الكفر ، فمن يعتقد بوحدة الأديان وأن القطب الغوث يتصرف في الكون فقد كفر وأشرك . وأصل البلاء كله هو عدم متابعة الرسول ﷺ والقرون المفضلة ومحاولة الريادة على ذلك عن سوء نية أو عن حسن نية .

ولايسلم لهم قولهم بالبدعة الحسنة ، لأن البدعة لا تكون إلا سيئة كما جاءت منكرة في حديث الرسول ﷺ وكل بدعة ضلاله » وهي بهذا الوصف تحتاج إلى تعريف محدد واضح ونختار هنا التعريف الذي جاء في كتاب (الإعتصام) قال : « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبيد لله سبحانه » ^(١) . فهي طريقة في الدين وليس في الدنيا فلو قال المبتدع لماذا لاتقولون أن استعمال الآلات الحديثة بدعة لقلنا : هذه طريقة في الدنيا ، وهي طريقة مخترعة لم يعهد مثلها من قبل وليس لها أصل أما العلوم المخترعة كعلم النحو وأصول الفقه فهذه لها أصل من حفظ الدين وتدخل في باب المصالح المرسلة ، وهي تضاهي الشرعية أي تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك ولو لم يكن هناك تشابه لما أتى بها المبتدع لأن الضرر المحسوب تغير التفوس منه ، ولكن شبهة التشابه هي التي أوقعته في مأزق الإبتداع . والحقيقة أن البدعة تكاد أن تكون علمًا على الصوفية لما اشتهرت به من البدع العملية ومع أن كل الفرق قد ابتدعت في الدين مالم يأذن به الله . وسبباً بالكلام عن ظاهرة خطيرة عند الصوفية وهي الفصل بين الشريعة والحقيقة ، ثم ماتلا هذا الفصل من بدع استطار شرها وعمّ بلاؤها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

١ - الشاطبي : الإعتصام ١ / ٣٧

المبحث الأول

الشريعة والحقيقة

مصطلح يردده المتصوفة كثيراً ، ويقرنون بينه وبين مصطلح آخر لهم هو الظاهر والباطن ، وسنحاول من خلال هذا المبحث التعرف على معاني هذه المصطلحات وعلاقتها بعضها بعض .

فالشريعة — كما يرونها — هي مجموعة الأحكام العملية التكليفية أي مايسمى (بالفقه الإسلامي) والحقيقة هي ماوراء هذه الأحكام من إشارات وأسرار ، فالفقهاء يعلمون الناس أركان الصلاة وستنها وهم يهتمون بأعمال القلوب من المحبة والخشية ... هذا رأي المعتدلين منهم أما غلطتهم فقالوا : إن هذه الأحكام لعوام المسلمين نظراً لضيق عقولهم وقلوبهم عن استيعاب المعاني العلوية دون الإلتزام برسوم وأشكال معينة ، فالصلاحة خمس مرات بشكل وترتيب معين ... هو أشبه مايكون بالمعلم الذي يلزم الطالب بواجبات مدرسية لما يعلم عنه من عدم الاستفادة من العلم إن لم يعمل تلك الواجبات ، والمقصود هو العلم فإن كان من الخواص الذين يدركون المقصود الأساسي من الشرائع — وهو ماأطلقوا عليه الحقيقة — فقد حصل المقصود وإن لم يلتزم بها ، فالصلاحة هي دوام الصلة مع الله فإن استدامت فالحاجة للصلاحة تصبح مجرد الوقوف مع الأوامر الشرعية احتراماً لها وإن كانت غير ذيفائدة ، بل إنها

والحقيقة أن هذه التفرقة غير صحيحة بل هي باطلة وقبيحة ، وأي تجزئة للإسلام فهي من قبيل اتخاذ القرآن عضين ، والإسلام كل متكامل كالجسم الواحد ، فليس هناك ظاهر وباطن ولكن فهم صحيح كما عقله الصحابة عن رسول الله ﷺ ، نعم هناك أعمال للجوارح وأعمال للقلوب والإيمان يزيد حتى يصبح كالجبال وينقص حتى يكون كالبنت الصغيرة الضعيفة ، ولكن كل هذا اسمه شريعة أو إسلام أو دين وكل تقسيم يشعر بأن هناك تضاداً أو تغيراً كمن يفرق بين العقل والنقل وكأن النقل مضاد للعقل ، أو بين العلم والدين وكأن العلم يخالف الدين ، كل هذا لا يكون إلا من ضعف وانحسار أئمأ أعداء هذا الدين ، هذا إن أحسنا الظن بهم .

انتقد ابن الجوزي هذا التقسيم فقال : « هذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لصالح الخلق ، فما الحقيقة بعدها سوى موضع في النفوس من إلقاء الشياطين ، وبغضهم الفقهاء أكبر الرزندقة » (١) .

كما أن هذه التفرقة بين الظاهر والباطن أدت بهم في موضوع التفسير إلى تأويل الآيات وتحريفها تحريراً شيئاً ، وهذا التأويل المذموم حاولت كل الفرق الضالة الباطنية أن تجد له نصيراً من كتاب الله يتاسب وأهواءها . ولذلك ضبط علم التفسير عند أهل السنة بـ (أصول التفسير) حتى لا يتتحول الأمر إلى فوضى لانهاية لها ، ففي تفسير آية ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيلُ رَأَى كُوكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ (٢) قال صاحب منازل السائرین : « رأى هذه حالة العطش لأن إبراهيم عليه السلام لشدة عطشه إلى لقاء محبوبه لما رأى الكواكب قال : هذا ربِّي ، فإن العطشان إذا رأى السراب ذكر به الماء » .

١ - ثلبيس إيليس / ٣٣٧ .
٢ - الأنعام / ٧٦ .

انحرفت بعد ذلك عند البعض إلى القول بإسقاط التكاليف لمن أدرك الحقيقة .

إن بداية الإنحراف كانت هذا الفصل بين الشريعة والحقيقة ، وعند أهل السنة الشريعة هي الحقيقة فالصلة حرکات معينة ولكنها تستلزم الخشية والإباتة ، وهكذا كل الأحكام الشرعية القيام بها يعني الإitan بها على تمامها كما أرادها الله سبحانه وتعالى .

وقد جرهم ذلك إلى مصطلح آخر وهو الظاهر والباطن . فقد أدعى الصوفية أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، فالظاهر هو ما يؤخذ من ألفاظه حسب الفهم العربي أو السياق أو غير ذلك من الأصول المرعية في التفسير وهو ما يهتم به علماء الظاهر أو ما يطلقونه عليهم (علماء الرسوم) زراعة بهم ، أما الباطن فهو العلم الخفي وراء تلك الألفاظ وهو المراد الحقيقي بها وهذا لا يطلع عليه إلا الخواص من أصحاب المقامات السامية ويطلقون عليه (الإشارات) ، وهم يغمرون أهل الفقه بأنهم لا يهتمون بأعمال القلوب .

... ويسأل أحدهم عن قيمة الزكاة فيجيب : أما على العام فربع العشر وأما نحن فيجب علينا بدل الجميع !! (١) . « وإذا وقع خلاف في مسألة بين علماء الشرع وبقيت غامضة ، فالقول فيها ما يقوله علماء الباطن أهل التصوف » (٢) . وفي تفسير قوله تعالى : « ولكن لانفقهون تسبيحهم » (٣) قال الغزالى : « وهذا الفن مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه » (٤) .

١ - شكب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي ٢ / ١٦٠ والكلام لأحمد الشريف السنوسي .

٢ - الإسراء / ٤٤ .

٣ - زكي مبارك : التصوف ٢ / ٢٥ .

مفهوم العرب الذي نزل القرآن بلسانهم وتفسير القرآن بالمعانى التي تخطر على قلوب المتصوفة غير صحيح ومثل هذا التفسير لم ينقل عن السلف بل هو أشبه بمذهب الباطنية ، وبسبب طموح النفوس إلى التكلف والأشياء المستغيرة نشأ التفرق والفرق ^(١) .

ولقد صدق الشاعر محمد إقبال حين صور الشیخ الصوفی بهذه الآیات :

« متع الشیخ ليس إلا أساطیر قديمة
كلامه كلام ظن وتخمين
حتى الآن إسلامه زناري
وحين صار الحرم ديراً أصبح هو من براهمته » ^(٢) .

ويعقب ابن القیم : « هذا ليس معنی الآیة مطلقاً وإنما القوم مولعون بالإشارات » ^(١) ، وآیة ﴿ فاخلع نعليك ﴾ فسرها الشیخ عبد الغنی النابلسی — وهو من المتأخرین — « أي صورتك الظاهرة والباطنة يعني جسمك وروحك فلاتنظر إليها لأنها نعلك » ^(٢) ، وفسر بعضهم هذه الآیة : يعني اخلع دنياك وأخرتك إلى آخر هذا الهراء . ويبدو أن البعض منهم كان يشعر بخطأ هذه التفرقة ، فيحدّر وينصح ، قال سهل ابن عبد الله : « احفظوا السواد على البياض (يعنی العلم) فما أخذ ترك الظاهر إلا تزندق » ^(٣) . ولكن القوم استمرروا في إشاراتهم البعيدة عن العلم فقالوا عن آیة ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارِي ﴾ أي غرقى في الذنوب ، ﴿ وَالجَارُ ذِي الْقُرْبَى ﴾ أي القلب ﴿ وَالجَارُ بِالْجَنْبِ ﴾ أي النفس حتى أنه يروى عن سهل بن عبد الله نفسه أنه فسر ﴿ وَلَا تَقْرِبَا هَذِهِ الشَّجَرَةِ ﴾ بقوله : لم يرد معنی الأكل في الحقيقة وإنما أراد أن لا تهتم بشيء غيري) قال الشاطئي : وهذا الذي ادعاه في الآية خلاف ما ذكره الناس ^(٤) .

وقد جمع لهم أبو عبد الرحمن السلمي تفسيراً للقرآن الكريم من كلامهم الذي أكثره هذيان نحو مجلدين ، وليته لم يصنفه فإنه تحریف ^(٥) والسراج بهاجم الفقهاء لأن علمهم أقرب إلى حظوظ النفس ، وأن علومهم قد يحتاج إليها في العمر مرة وعلوم الصوفية يحتاج إليها دائماً ^(٦) بينما نجد أن الصحابة لم يتعمقوا في كلامهم ولم يخوضوا في الأمور المتكلفة ولابد في فهم الشريعة من اتباع

-
- ١— مدارج السالكين ٢ / ٦١ . ٢— بدوى : شطحات الصوفية / ١٩٥ .
 ٣— تلبيس إيليس / ٣٢٥ . ٤— القاسمي : محاسن التأويل ١ / ٧٣ .
 ٦— محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ٢ / ٣٨٦ نقلًا عن الإمام الذهبي .
 ٧— اللمع / ٣٦ .

١— انظر تعليق الشیخ الخضر حسین على کتاب المواقف للشاطئي ٢ / ٥٢ .
 ٢— دیوان أرمغان حجاز / ١٣٠ تحقيق د. سعید عبد الحمید .

وكان الصوفية لم يستسيغوا أن يقال : إن رسول الله ﷺ هو كما وصفه القرآن الكريم بشراً رسولاً وهم جعلوا أقطابهم تتصف بما وصف الله سبحانه وتعالى نفسه ، فكيف برسول الله ﷺ فابتدعوا مأسومه (الحقيقة المحمدية) وعلى أساس هذه النظرية ندرك مغزى ما يقول البوصيري :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها
فإنما اتصلت من نوره بهم

وقوله :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
وقول ابن نباتة المصري :
لولاه مكان أرض ولا فرق

ولازمان ولخلق ولاجمل

وقد كان رسول الله ﷺ يخشى على أمته من الغلو فقال ﷺ محدثاً : « لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله » ^(١) . ولكن الذي فعله هؤلاء هو أكبر من الغلو ، إنه الشرك والضلالة ، وإلا فكيف تفسر قول الشیعی الدیاباع « إن مجتمع نوره لو وضع على العرش لذاب » ^(٢) وقول أبي العباس المرسي : « جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا هو عین الرحمة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رحمةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ » ^(٣) . فانظر إلى هذا الاستنتاج العجيب .

- أخرجه الترمذی في الشمائل المحمدية . انظر : مختصر الشمائل للشیعی الألبانی / ١٧٤ ، وقال عنه : حديث صحيح .
- هذه هي الصوفية / ٨٧ .
- لطائف المتن / ١٢ .

المبحث الثاني

الحقيقة المحمدية

شعبة من شعب الغلو الذي وقعت فيه الصوفية ، وهي مزيج من الغلو في رسول الله ﷺ والتأثر بالفلسفة اليونانية في تقريرها لأول مخلوق ، والتأثر بالنصرانية التي أضفت صفات الربوبية على المسيح عليه السلام .

وال المشكلة أن هذه التي يسمونها (الحقيقة المحمدية) هي غموض كامل وعماء في عماء ، لأنها نشأت في الأصل من خيال مريض وأوهام ليس لها أي رصيد من الواقع ، ولذلك نلاحظ أن أقوالهم في تعريفها أو الكلام عنها غامضة أيضاً ، فالرسول ﷺ أول موجود وأول مخلوق وهو القطب الذي تدور عليه أفلالك الوجود من أوله إلى آخره ^(١) ، وهو الذي منه انشقت الأسرار ولا شيء إلا هو به منوط ^(٢) ، وهو عین الإيمان والسبب في وجود كل إنسان ^(٣) .

١ — ظهر الإسلام ٤ / ٢٢٠ ومعنى القطب الذي تدور عليه الأفلال أنه المحكم في حركاتها وسكناتها ، وهو الذي يدير مادق وجبل من أمرها وهذه هي حقيقة الألوهية وهي عن نظرية العقل العقال المستمدۃ من الفلسفة اليونانية .

٢ — هذه هي الصوفية / ٨٧ والكلام لابن مشيش .

٣ — زکی مبارك : الصوف ١ / ٢٣٣ .

إنها المضامنات بعينها ، فإذا كان المسيح ابن الله عند النصارى فلماذا لا يخترع الصوفية (الحقيقة المحمدية) ، وهذا ناتج عن نظريتهم في وحدة الوجود ^(١) .

ومن المؤسف أن المستشرق (نيكلسون) في كتابه كلاماً صحيحاً عن شخصية الرسول ﷺ بينما غلاة الصوفية تاهوا في معماناتهم وسراديبهم ، يقول : «إذا بحثنا في شخصية محمد ﷺ في ضوء ماورد في القرآن ، وجدنا الفرق شاسعاً بينهما وبين الصورة التي صور بها الصوفية أوليائهم ، ذلك أن الوالي الصوفي أو الإمام المعصوم عند الشيعة ، قد وصفاً بجميع الصفات الإلهية ، بينما وصف الرسول في القرآن الكريم بأنه بشر» ^(٢) .

خرافة كبيرة من خرافات الصوفية ، وشطحة من شطحاتهم الكثيرة ، وهي لأنخرج إلا من خيال مريض يظن أنه يتسامح إنسانياً ، ولكنها في نفس الوقت فكرة خطيرة لأنها تصادم سنن الله في الكون والحياة ومنها سنة الصراع بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، والجمع بين الكل على قدم المساواة هو خيت مرکز لهدم الإسلام أو هذيان مقلد لا يدرى ما يقول ، وإنما فكيف نسوى بين من يعبد الله سبحانه وتعالى وحده وبين من يعبد البقر أو حرف كتب الله وبعد أنبيائه ، كيف نجمع بين الإيمان والكفر ، هذا لا يكون إلا من يؤمن بوحدة الوجود كابن عربى وتلامذته الذين يعتقدون أن كل موجود على الأرض صحيح ولداعي للتفرقة ، والله أوسع من أن يحصره عقيدة معينة فالكل مصيب «وأما عذاب أهل النار فهو مشتق من العذوبة» ^(٣) .

ويترجم ابن عربي هذه العقيدة شرعاً فيقول :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزان ودير لرهبان

١ - هذه هي الصوفية / ٩٥ .

١ - انظر : الصوف لركي مبارك .
٢ - هذه هي الصوفية / ٨٥ .

فصلات اليهود ، وعقد زnar النصارى ، وبد الوثنية في الهند
ومساجد الله كلها عند هؤلاء ساح فساح يعبد فيها الله^(١) .

ونحن وإن كنا لانتهم كل المتصوفة بهذه البدعة لأن القول بها
ضلال وكفر وانحراف ولا يقول به إلا غلطهم ، إلا أن أجواء الصوفية
ربما تساعد على نشوء مثل هذه الأفكار أم قريباً منها ، فالاستغراف
في توحيد الربوبية وأن الله رب كل شيء وملكيه ، وفي القضاء
والقدر الكوني الذي يسري على المؤمن والكافر ، دون الإلتفات إلى
جانب الأمر والنهي الشرعي والمخاطب بهما المؤمنين والذي هو
جانب توحيد الألوهية ، والإستغراف في كلمات ذوقية مثل الحب
الإلهي والعشق الإلهي ، كل هذا أدى إلى قول أبي يزيد البسطامي
عندما اجتاز بمقبرة اليهود : « معدوروون » ومر بمقبرة المسلمين فقال
« مغوروون » ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى : « ما هؤلاء حتى تعذبهم
حطام جرت عليهم القضايا ، اعف عنهم »^(٢) وكأنه يريد أن يثبت
رحمته للجنس البشري كله ، وكأنه أرحم من الله سبحانه بعباده ،
ومن هذا القبيل ماروى الأمير شبيب أرسلان عن أحمد الشريف
السنوسى^(٣) أن عمه الأستاذ المهدى كان يقول له : « لا تحقرن
أحداً لامسلاً ولانصرانياً ولايهودياً ولاكافراً لعله يكون في نفسه عند
الله أفضلاً منك إذ أنت لا تدرى ماذا تكون خاتمتك »^(٤) . وهذا
الكلام غير صحيح من الشيخ السنوسى لأننا عندما نحتقر الكافر
نحتقره لكرهه وعندما يسلم نحترمه لإسلامه ونحن لنا الظاهر ، ولكن

١ - هذه هي الصوفية / ٩٨ .

٢ - بدوى : تاريخ التصوف / ٢٨ .

٣ - من زعماء الحركة السنوسية التي ظهرت في ليبيا في العصر الحاضر ولهم مواقف
طيبة ضد الاستعمار الإيطالي .

٤ - حاضر العالم الإسلامي ٢ / ١٦٤ .

وبيت لأوثان وكمبة طائف
وألواح نوراة ومصحف قرآن
أدين بدین الحب أني توجهت
ركابه فالحب دیني وإيماني
وينسج على متواز صديقه ابن الفارض فيقول :
وماعقد زnar حكماً سوي يدي
وإن حل بالإقرار فهي حلت
فلا وجہ للإنكار بالعصبية
وإذا كان بعض المعتدلين يحذرون من كتب ابن عربي مع أنهم
لا يعتقدون بکفره ويررون أقواله ويأولونها فإننا لم نسمع منهم أحداً
يحذر من شعر جلال الدين الرومي مع أن المعجبين به كثيرون وخاصة
بين مسلمي الهند وتركيا ، وهذه إحدى قصائده يتشبه فيها بأستاذه
ابن عربي :

انظر إلى العمامة أحكمها فوق رأسي
بل انظر إلى زnar زاردشت حول خصري
فلاتأعني لأنأعني
مسلم أنا ولكنني نصراني وبرهمي وزرادشتى
توكلت عليك أيها الحق الأعلى
ليس لي سوى معبد واحد
مسجدًا أو كنيسة أو بيت أصنام
ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي
فلاتأعني ، لأنأعني^(١)

١ - مجلة العروة الوثقى عدد ٦١ لعام ١٤٠٣ هـ برئاسة تحرير عبد الحكم الطبيبي .

أثر التصوف واضح فيه وإن كنت لا أعتقد أنه من يقول بوحدة الأديان .

المبحث الرابع الأولياء والكرامات

من أكثر الأشياء التي يندن حولها الصوفية قديماً وحديثاً موضوع الأولياء والكرامات التي تحصل لهم ، وقبل أن نتكلم عن مدى مطابقة ما يذهبون إليه للكتاب والسنة ، قبل هذا لابد من تعريف الولي وكيف تطورت هذه اللفظة لتصبح مصطلحاً خاصاً علماً على فئة معينة ثم نتكلم عن الكرامات وما هو مقبول منها وما هو مردود .

جاء في كتاب (قطر الولي على حديث الولي)^(١) : الولي في اللغة : القريب والولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحجة والتقارب ، والمراد بأولياء الله خلص المؤمنين ، وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَقَوَّنُونَ﴾^(٢) أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من المعاصي ، قال ابن تيمية : الولي سمي ولياً من مواليه للطاعات أي متابعته لها . وهذا المعنى الذي يدور بين الحب والتقارب والنصرة هو الذي أراده القرآن الكريم من كلمة ولبي ومشتقاتها في كل موضع أتى بها فيه ، سواء في جانب أولياء الله أو في جانب أعداء الله . ومن ثم



١ — هذا الجزء من البحث عن الولي مختصر من هذا الكتاب للإمام الشوكاني مع مقدمة وتحقيق الدكتور إبراهيم هلال .

٢ — يونس / ٦٣ .

إن هذه العقيدة شبيهة بأفكار الماسونية التي تدعو إلى وحدة الإنسانية وترك الاختلاف بسبب الأديان فليترك كل واحد دينه وعقيدته وإنما تجمعنا الإنسانية ، دعوة خبيثة ملمسها ناعم ولكنها تحمل السم الرعاف في أحشائها .

الدين في كل مأمور أو نهى ، والصحابة ومن تبع أثراهم من العلماء العاملين هم أولى الناس بهذا اللفظ ويصدق عليهم حديث : « من عادى لي وليا ... » وطريق الوصول إلى الولاية عند الصوفية طريق معكوس لأن الغاية من مجاهداتهم هي معرفة الله أو الفناء ، والمفروض أن معرفة الله سبحانه هي خطوة أولى للإيمان وهذه المعرفة فطرية كما يحدثنا القرآن ، والعمل الصالح هو الذي يصل إلى أن يحب الله عبده ، وأما فناؤهم فهو يوصلهم إلى كفر الإتحاد والحلول فطريق الولاية عند أهل السنة سهل ميسر ومن أول هذا الطريق تبدأ المحجة بين الله سبحانه وعبده بينما طريق الصوفية طريق شكلي آلي ، لابد أن يمر المريد بكلنا وكذا ثم يصل إلى شطحات يظن فيها أنه شاهد الحق . وأفضل الأولياء عند أهل السنة الأنبياء والرسل بينما عند الصوفية النبي يقصر عن الفلسفة المتألهين في البحث والحكمة كما يقول السهروردي المقتول على يد صلاح الدين الأيوبي رحمة الله ، فالولي عند أهل السنة هو ذاك المسلم الإيجابي الذي يقوم بالطاعات ، والولي عند الصوفية هو المستغرق في الفناء ^(١) .

بعد هذا البيان والإيضاح لكلمة الولي وكيف تطورت ، والمعنى السنّي لها ، لابد من توضيح المقصود بـ (الكرامات) وما هو رأي أهل السنة فيها ؟ وهل التزم الصوفية بهذا الرأي ؟ وهل هناك ارتباط بين الولاية والكرامة ؟ فنقول :

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون وسيره على سنن محكمة مطردة لاتعارض ولا تختلف ، وربط المسببات بأسبابها والتائج بمقدماتها وأودع في الأشياء خواصها ، فالنار للإحرق ، والماء

١ - انتهى مانقلناه مختصراً وبتصرف عن كتاب (قطر الولي) .

فليس لنا أن نخرج هذا المصطلح عن المعنى الذي حدده القرآن بلسان عربي مبين . يقول ابن حجر العسقلاني : « المراد بولي الله : العالم بالله تعالى ، المواطن على طاعته ». هكذا كان استعمالها وظلت النظرة إليها بهذا المعنى إلى أن دخلت أوساط الشيعة ثم في دائرة الصوفية فأطلقوها على أنتمهم ومشايخهم مراعين فيها اعتبارات أخرى ، غير هذه الاعتبارات الإسلامية فأصبحت محصورة في طائفة خاصة بعد أن كانت صفة محتملة لأي إنسان يقوم بنصرة دين الله من عباده المسلمين ، وأول من صرف هذا المعنى إلى معنى خاص هم الشيعة فأطلقوها على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على اعتبار أنه هو وذراته (بشراً نورانين من طينة مكتونة تحت العرش) ثم أضاف لها الشيعة والصوفية (العلم الديني) لأن الشيعة يعتقدون أن علي ابن أبي طالب أخذ علمًا خاصًا عن الرسول عليه السلام .

والقشيري من الصوفية يرى : « أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء العصمة من المعاصي والمخالفات » وهذه قلدوا فيها الشيعة الذين يعتقدون العصمة لأنتمهم ، وربما تلطّف الصوفية فسموها (الحفظ) كما يقول الكلاباذي « ولطائف الله في عصمة أنبيائه وحفظ أوليائه ... » وأكبر مقامات الولي عند الصوفية هو (الفناء) وهو باب الولاية ومقامها أما عند ابن عربي فهي مرتب و منها مرتبة الولاية الخاصة وهم الورثة لأنهم أخذوا علمهم عن الله مباشرة ، ٤١١ وهم عند ابن عربي أفضل من الأنبياء نظرًا لما هم عليه من ذوق أدركوا به علم الوجود ووقفوا على سر القدر .

هذا هو التحديد التعسفي لمفهوم الولاية عند المتصوفة ، أما شخصية الولي في القرآن الكريم فهي شخصية إيجابية يترسم خطى

هذه حوادث صحيحة وقعت للصحابة رضوان الله عليهم ، وأكثر منها وقع في عصر ما بعد التابعين . فأهل السنة لا ينكرون الكرامات كما ينكراها المبتدعة ، وهم يعلمون أن الله الذي وضع الأسباب ومسبباتها قادر على خرق هذه السنن لعبد من عباده ، ولكن الصوفية جعلوا مجرد وقوعها دليلاً على فضل صاحبها حتى ولو وقعت من فاجر قالوا هذه كرامة لشيخ الطريقة ولذلك لا بد من ملاحظات وتحفظات حول هذا الموضوع .

أولاً: هذه الخوارق كانت تقع للصحابة دون تكلف منهم أو تطلب لها أو رياضات روحية يستجلبون بها هذه الخوارق ، بل تقع إكراماً من الله لهم أو دعاء يرون فيه مصلحة دينية إما لحجة أو لحاجة للمسلمين كما كانت معجزات نبيهم عليه السلام ، أما المتأخرون فيطلبونها ويتكلفون لها الرياضيات الروحية وربما أفسد جسمه ونفسه بسبب هذا مع أن « طلب الكرامات ليس عليه دليل » ، بل الدليل خلاف ذلك فإن ماغير عن الإنسان ولا هو من التكاليف لا يطالب به » (١) وهذا من التأثير بالفلسفه حيث يقررون رياضات معينة للوصول إلى هذه الخوارق .

ثانياً: إن كرامات أولياء الله لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى والولي لله هو المحافظ على الفرائض والسنن والتوفيق ، عالماً بأمر الله عاملًا بما يعلم فمن صفت عقيدته وصح عمله كان ولينا الله يستحق إكرام الله له إن شاء ، فهذا إذا خرقت له العادة لاتضر ولا يضر بذلك ولا تضيئه رعنون ، وقد لا تحصل لمن هو أفضل منه فليست هي بحد ذاتها دليلاً على الأفضلية ، فالصديق رضي الله عنه لم يجتمع إليها ، وحصلت لغيره من الصحابة ، كما أنه ليس كل من خرقت

١ - الشاطبي : المواقف / ٢٨٣ .

للإرواء ، والطعام للجائع ، ثم هذا النظام الكوني البديع المتناسق الشمس والقمر والنجوم ، وتعاقب الليل والنهار ... كل بنظام محكم ، فإذا لم ترتبط الأسباب بنتائجها وخرقت هذه العادة المألوفة بإذن الله لمصلحة دينية أو دعاء رجل صالح ، فهذا الخرق إذا كان لنبي فهو معجزة ، وإذا كان لأناس صالحين فهو كرامة وهذه الكرامة إن حصلت لولي حقاً فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول عليه السلام وتحصل ببركة إتباعه .

وهذه الخوارق إما أن تكون من جهة العلم بأن يسمع النبي ما ليسع غيره أو يرى ما لا يراه غيره يقطة ومناماً أو يعلم ما لا يعلم غيره وحشاً وإلهاماً ، أو فراسة صادقة لعبد صالح ، وإنما أن تكون من باب القدرة والتأثير مثل دعوة مستجابة أو تكثير الطعام وعدم إحراق النار ، وقد حصل للصحابه رضوان الله عليهم كرامات من هذا النوع وكانت إما لحاجة أو حجة في الدين ، كما أكرم الله سبحانه أم أيمن عندما هاجرت وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش وكانت صائمة ، فلما كان وقت الفطر سمعت حسناً على رأسها فإذا دلو معلق فشربت منه ، وكان البراء بن مالك إذا أقسم على الله أبى قسمه ، وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة ، ومشى أمير البحرين العلاء بن الحضرمي وجنوبيه فوق الماء لما اعترضهم البحر ولم يكن معهم سفن تحملهم وألقي أبو مسلم الخولاني في النار فلم تحرقه (١) .

١ - ابن تيمية : الفتاوى / ١١ / ٢٧٩ وفي هذا الجزء بحث قيم حول المعجزات والكرامات .

ينبوعاً ، أو تكون لك جنة من نخيل فتفجر الأنهر خلالها تفجراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفماً ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلأً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولًا ^(١) .

كما أمر عليه الله أن يieraً من دعوى الغنى والقدرة وعلم الغيب إلا ماعلمه الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي ^(٢) ، ولذلك كانت حياته وسيرته تجري كبقية عادات البشر وأماؤلوفاتهم مع ماأعطي من شرف المنزلة ^(٣) ، وعندما هاجر عليه الله إلى المدينة لم يطر في الهواء ولم تط له الأرض وإنما سار كما يسير أي راكب ويقطع المسافة في تسعة أيام ، لماذا ؟ لأن هذا هو الأصل ، الأصل أن يسير الناس على السنن الكونية التي أودعها الله في الخلق ، ولكن كثرة الناس يؤذيها أن يكون الكون سائراً على قانون محكم ويسعدها أن يكون هذا القانون بيد المجاذيب والدراوיש يتصرفون به ^(٤) .

وتبقى الحقيقة أن الإستقامة على طريق الهدى ، طريق السنة والإتباع ، طريق الصحابة ومن تعهم بإحسان ، هذه الإستقامة هي عين الكرامة ، فإن حصل بعدئذ خرق للعادة إكراماً من الله سبحانه وتعالى لمؤمن صادق فهذه — يجب أن يخفى ولا يذيعها ويشكر الله سبحانه على مامن به عليه .

١ - الإسراء : ٩٠ / ٩٣ .

٢ - الأعام / ٥٠ .

٣ - الشاطبي : المواقفات ٢ / ٢٤٨ .

٤ - انظر : ركي نجيب محمود في كتابه : ثقافتنا / ٧٢ .

له العادة يكون ولـياً لله كما أنه ليس كل من حصل له نعيم دنيوية تعد كرامة له ، بل قد تخرق العادة لمن يكون تاركاً للفرائض مباشرةً للفواحش وهذه لا تدعوا أن تكون إما مساعدة من شياطين الجن ليضلوا الناس عن سبيل الله ، أو استدراج من الله ومكر به أو رياضة مثل الرياضات التي يمارسها الهندو والبوذيون الكفرا ثم يضربون أنفسهم بالآلات حادة ولا تؤثر فيهم أو يتركون الطعام أيام عديدة إلى غير ذلك ويظن الفسقة أن هذه كرامة لهم .

ثالثاً: هناك سؤال مهم في هذا الصدد وهو لماذا كانت هذه الحوادث من خرق العادات قليلة في زمن الصحابة والتابعين ثم كثرت بعدئذ ؟ يجيب ابن تيمية : « لأنها بحسب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها ضعيف الإيمان أو المحتاج أثار فيها ما يقوى إيمانه ويكون من هو أكمل ولالية منه مستغنياً عن ذلك لعلو درجته ^(١) ، كما أن عدم وجودها لا يضر المسلم ولا ينقص ذلك في مرتبته ^(٢) والصحابة مع علو مرتبهم جاءتهم هذه الخوارق إكراماً لهم أو لحاجة في الدين ، وكثرتها في المتأخرین دليل على مقالة ابن تيمية أو لطلبهم إياها بالرياضة الروحية . ^(٢)

رابعاً: إن معجزة هذا الدين الكبير هو القرآن الكريم الذي أنزله الله على قلب محمد عليه الله ، وعندما طلب منه عليه الله معجزات مادية رفض ذلك لأن هذا ليس هو منهاج هذا الدين وقد ذكر القرآن الكريم هذا الطلب ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرْ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ ^(١) .

١ - هنا فيما ثبت صحة نقله من الكرامات إلا أنها لانقل أنها بعد هذا العصر بدأ أهل الأهواء والبدع في نشر مذاهبهم ولاري مائعاً من أن يكون هؤلاء قد استظهروا على صحة مذاهبهم باختلاف كرامات كرامات لأساس لها من الصحة تناقلتها الألسن فكثرت فيها الكرامات فيما تلى ذلك من العصور .

٢ - الفتاوى : ١١ / ٣٢٣ .

المبحث الخامس

الأقطاب والأوتاد

بعد أن حرف الصوفية كلمة ولی عن معناها الذي أراده القرآن الكريم اخترعوا مايسمونه بالأقطاب والأوتاد والأبدال ... تسميات مأنزل الله بهامن سلطان ، يرتبون بها أوليائهم ترتيباً فيه مضاهاة للنصارى الذين يرتبون رجال الدين عندهم بدأ بالشمام وانتهاء بالبابا كما أنه فيه تشبه بالشيعة في ترتيب الأئمة وكذلك ترتيب التصيرية والإسماعيلية في أئمتهم كالسابق والتالي والناطق والأساس^(١) ، وقد رتبوا أوليائهم حسب أهميتهم على الشكل التالي :

وأما الأوتاد فهم أربعة رجال منازلهم على منازل الأربعة أركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب^(٢) .

والأبدال سبعة رجال من سافر من موضع ترك جسداً على صورته حياً بحياته^(٣) .

إن المسلم ليتعلمه العجب عندما يقرأ أو يسمع مايقوله هؤلاء من أمثال الجرجاني وغيره الذين يدعون العلم والمعرفة ، إن هذه أمور خطيرة تمس جوهر العقيدة الإسلامية ، إن الإعتقاد بأن أحداً غير الله سبحانه يتصرف في هذا الكون هو شرك أكبر وكيف يرضي الله عن أمة تشرك به صباح مساء ، مع أن الله سبحانه وصف أكابر أوليائه بالصديقين كأبي بكر والستة مريم والدة المسيح عليه السلام ف يأتي هؤلاء ليحددوا الله ورسوله ويقولوا : القطبية هي مرتبة فوق

١ - هذه هي الصوفية / ١٢٥ .

٢ - المصدر السابق / ١٢٥ وانظر هامش كتاب تبيه الغي / ٣٢ .

٣ - طبقات الشرفاني ١ / ١٤٤ . ٤ - لطائف المتن / ١٠٩ .

٥ - نفس المصدر / ١٢ . ٦ - الجرجاني : التعريفات / ٣٩ .

٧ - المصدر السابق / ٢٣ .

وماهي حقيقة القطب عندهم ؟ يجيب مؤسس الطريقة التيجانية : « إن حقيقة القطبية هي الخلافة عن الحق مطلقاً ، فلا يصل إلى الخلق شيء من الحق (الله) إلا بحكم

١ - انظر الفتاوى لابن تيمية ١١ / ٤٣٩ .

المبحث السادس

الشطح واللامعقول

يروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : « لو أن رجلاً تصور أول النهار ل يأتي الظهر حتى يصير أحمق »^(١) ، وسواء صحت هذه الرواية عن الشافعي أم لم تصح فإن الإتجاه العام لدى الصوفية هو الإبعاد عن العقل والعقلانية وذلك لأنهم يرون أنه لا يمكن الوصول إلى الأحوال والمقامات العالية إلا بإلغاء العقل ، ولذلك يذكرون حوادث لمشايخهم ويقررون أموراً يأبها العقل بل يكذبها ، مع أن العقل شرط في معرفة العلوم وهو بمنزلة البصر في العين فإذا اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس وإن إبعاد العقل وعزله تماماً هو رجوع إلى الأحوال الحيوانية^(٢) ومن المعلوم أن مناط التكليف في الإسلام هو العقل ولكن الصوفية كل شيء عندهم ممكن ، وكل شيء يصدق مهما كانت غرابةه ، لأنه لا شيء يرد على مشايخهم ، وإذا ردت فأنت محجوب لأنفهم في مثل هذه الأمور ولذلك أصبحت قصصهم أضحوكة لأهل الأديان المنسوبة كما يقول الآلوسي^(٣) .

١ — تلخيص الميس / ٣٧٠ .

٢ — انظر ماقتبه ابن تيمية في الفتاوى ٣ / ٣٣٨ كما أنه كتب عشر مجلدات في بيان أنه لا تعارض بين الشريعة المنشورة والحقيقة المعنولة .

٣ — محاكمة الأحمديين / ٤٩٠ .

الصادقة وأما مصادمة كلامهم للعقل فهذا من البديهيات الأولية ، لأن الخرافة لا يمكن أن يصدق بها عقل . أوتاد وأقطاب يتحكمون في العالم وهو لاء سبعة وأولئك أربعة ، من أين جاءوا بهذا التحديد وهذا العدد ؟ ومن أين جاءوا بهذا القطب الذي جعلوه نائباً لله ؟ كأن الله سبحانه ملك من الملوك يحتاج إلى نواب سبحانه وهذا بهتان عظيم وإفك مبين^(١) ، وهذا الكلام وكلامهم عن الحقيقة المحمدية ووحدة الأديان لاستطاع أن نصفه بأنه هلوسة وتخبطات مصروف لغير لأننا نكون عندئذ غافلين عن حقيقة هذه المذاهب ، وإنما هي غوصية^(٢) لهدم الإسلام .

١ — جاء في (الفتاوى البرازية) : « من قال أن أرواح المشائخ حاضرة تعلم يكفر . انظر كتاب (غاية الأماني) لشكري الآلوسي ٢ / ٦٦ وما قبله عن الشيخ صنع الله الحنفي في موضوع الأولاد والأقطاب والأوتاد ٢ / ٦٦ من نفس الكتاب أيضاً .

٢ — الغوصية : فرقه دينية فلسفية متعددة الصور مبدؤها أن المعرفة الحقة هو الكشف عن طريق الحدس الحاصل عن اتحاد العارف بالمعروف وليس عن طريق العلم والإستدلال ، فهي نوع من التصوف يزعم أنه المثل الأعلى للمعرفة ، ويعتقد أنه ليست هناك حواجز أو فروق بين الأديان ، ومن هنا كان خطورها ، وهي مأشوذة من اللفظ اليوناني (غنوسيس) يعني (معرفة) وقد نشأت في القرن الأول الميلادي بتأثير اختلاط الثقافة اليونانية بشقاوة الشرق ومن زعمائها (أفلوطين) فيلسوف مصرى متتصوف مزوج الفلسفة باليقنة المسيحية والسحر والأساطير عاش في القرن الثالث الميلادي ، انظر ابراهيم هلال في مقدمة الولاية والطريق إليها / ٧٧ .

- فلو أن الشيخ يعيش معهم لاستراحتوا وأراحوا ... ١
- ٣ — قال تقى الدين السبكي : « حضرت سماعافيه الشيخ رسلان فكان يشب في الهواء ويدور دورات ثم ينزل إلى الأرض يسيراً يسيراً ، فلما استقر أسد ظهره إلى شجرةتين قد يحيى فأورقت واختضرت وأينعت وحملت التين في تلك السنة » (١) والعجب هنا ليس من الشيخ رسلان ولكن من عالم مثل السبكي كيف يقبل بأن يذكر الله بالرقص في الهواء وكيف يصدق هذا إذا صحت رواية الشعراي عن السبكي .
- ٤ — أبو العباس أحمد المثلث : يقول الشعراي عنه : « وكان الناس مختلفين في عمره ، فمنهم من يقول : هذا من قوم يونس ، ومنهم من يقول : إنه رأى الإمام الشافعى ، فسئل عن ذلك ، فقال : عمري الآن نحو أربعمائة سنة وكان أهل مصر لا يمنعون حريمهم منه في الرؤبة والخلوة » (٢) .
- ٥ — الشيخ إبراهيم الجعبري : كان له مريدة تسمع وعظه وهو بمصر وهي بأرض السودان من أقصى الصعيد (٣) .
- ٦ — حسين أبو علي : « من كمل العارفين ، كان كثير التطورات ، تدخل عليه فتجده جندياً ، ثم تدخل عليه فتجده سبعاً ، ثم تدخل فتجده فيلاً (يالطف الله) » (٤) . تخيل هذا الذي من كمل العارفين يتحول إلى سبع وإلى فيل ... ١٩
- ٧ — إبراهيم بن عصيفر : « كان يغلب عليه الحال وكان يمشي أمام الجنائزة ويقول زلايه ، هريسه ، وأحواله غريبة ، وكان يحبني وأنا في بركته وتحت نظره » (٥) . قد يكون هذا مجنون لاتكليف

١ — نفس المصدر ١ / ١٥٧ .
٢ — نفس المصدر ٢ / ٨٧ .

١ — نفس المصدر ١ / ١٥٤ .
٢ — الطبقات ١ / ٢٠٣ .
٣ — نفس المصدر ٢ / ١٤٠ .

ولأن الناس عجزوا بعد سقوط بغداد عن ربط الأسباب بالمبنيات فربما كان التصوف الوحيد الذي نجا من تلك الكارثة فهو إلى المتتصوفة يمنحونهم البركة فامتلأت البلاد بأرباب الطرق (١) .

وحتى لا يظن أننا نظلم ونتهم بهذه صور من اللامعقول عند الصوفية متزرعة من كتاب (الطبقات الكبرى) للشعراي . وهو يترجم لهؤلاء ولا يعلق بشيء لاعتقاده بصحتها ، بل ينقل قصص المجاذيب ويتراضى عنهم ، وقد يقال بأنها مكذوبة عليهم ولكن الشعراي نقلها ولم ينكرها والذين يقرأون للشعراي من عصره وحتى هذا الوقت لا يقولون : نحن ننكر مثل هذه الأمور ويجب أن تحذف من كتبنا ، فالمشكلة في هؤلاء الذين يبرونها ويصدقونها فعلاً وهذه النماذج مأخوذة من عصور مختلفة إلى عصر المؤلف في القرن العاشر الهجري .

١ — ذكر في ترجمة الشيخ أحمد الرفاعي أنه : « إذا تجلى الحق تعالى عليه بالتعظيم يذوب حتى يكون بقعة ماء ، ثم يداركه اللطف فيصير يحمد شيئاً فشيئاً حتى يعود إلى جسمه المعتاد ويقول : لولا لطف الله ربى مارجعت إليكم » (٢) .

٢ — الشيخ أبو عمرو بن مرزوق القرشي : « كان الرجل العربي إذا اشتئى أن يتكلم بالأعجمية أو العجمي يريد أن يتكلم العربية يتفل الشيخ في فمه فيصير يعرف تلك اللغة كأنها لغته الأصلية » (٣) .
مساكين الطلبة الذين يدرسون اللغات الأجنبية في هذا العصر

١ — انظر أحمد أمين : ظهر الإسلام ٤ / ٢١٩ .
٢ — الطبقات ١ / ١٤٣ .
٣ — الطبقات ١ / ١٥٢ .

واضطراب ^(١) .

وهذه نماذج من شطحاتهم : قال أبو يزيد البسطامي « إن جهنم إذا رأته تحمد فاكون رحمة للخلق ، وما النار والله لئن رأيتها لأطفأتها بطرف مرقعي » ^(٢) .

والدسوقي يعلن أن أبواب الجنة بيديه ومن زاره أسكنه جنة الفردوس ^(٣) وأبو الحسن الشاذلي يعوم في عشرة أبخر : خمسة من الآدميين : محمد وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي ، وخمسة من الروحانيين : جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرايل والروح ^(٤) وأحمد بن سليمان الراشد شفعه الله في جميع أهل عصره ^(٥) .

وشطحاتهم لاتنتهي ونكتفي بما أوردنا كنموذج للرعونة والدعوى وأقوالهم هذه مرفوضة جملة وتفصيلاً ولاستحق بذل الجهد لغيرها فقاعدة الإسلام الركينة أنها حكم بالظاهر كما دلت جملة الأحكام الشرعية فلامحال ملدع أن يقول بأن باطن أقوالهم مختلف لظاهرها ، ويجب أن يصان الإسلام عن مثل هذا الشطح واللامقول ، بل الشرك لأن من يتصرف في الجنة والنار فقد اخند نفسه نذًا لله وشريكًا ، قال ابن عقيل « ومن قال هذا كائناً من كان فهو زنديق يجب قتله » ^(٦) .

وإذا كانت الجنة بيد الدسوقي فلينهم البطالون وليسترجعوا من عناء الجهد والتعب والأمر لا يحتاج إلى علم أو عبادة أو جهاد بل مجرد زيارة الشيخ تفتح له أبواب الجنة أليست هذه نسخة أخرى عن صكوك الغفران ، وأما نحن فنستغفر الله حتى من إبراد أقوالهم .

١ - بدوي : شطحات الصوفية ١ / ٢٢ .

٢ - انظر : تاريخ الصوفية لعبد الرحمن بدوي .

٣ - هذه هي الصوفية / ١٢١ .

٤ - لطاليف المتن / ٥٧ .

٥ - طبقات الشعراي / ٢ / ٨٢ .

٦ - تليس إليس / ٣٤٣ .

عليه ، أما أن يقول الشعراي : سيدني إبراهيم ، وكانت في بركته تحت نظره ، فهذا مما لا ينقضى من العجب ، ومارأى صوفية اليوم هل ينكرون على الشعراي هذا الكلام ؟ لا أعتقد ، بل يبدوا أن هؤلاء وأمثالهم هم أقرب إلى الظن بأن الحقيقة إنما ينطق بها البلهاء قبل أن ينطق بها العلماء ^(١) .

ومن أثر الصوفية وكتب الشعراي وغيره أن أساتذة في جامعات مصر ، أساتذة في الطب والفيزياء والكيمياء ، تكون عقولهم سليمة عند البحث العلمي وتتسخ عند الحديث عن الولي الفلازي كيف طار في الهواء أو غاص في الماء ^(٢) ، لاشك أنها ازدواجية تحتاج إلى تحليل نفسي لمعرفة أسبابها ودوافعها ، وقد رأينا طلاب الجامعات في بلاد الشام كيف يتبعون دجالاً مخرياً ، ظاهر الكذب والإحتيال ، إن هؤلاء المشايخ يقومون بعملية غسل دماغ للمربي بطريقة شيطانية خبيثة تجعل طلاب الجامعات بل وأساتذتهم يسرون وراء الشيخ كالقطيع ، وتبقى أجواء الصوفية غير العقلانية هي العامل الأهم .

إن قمة إلغاء العقل عند الصوفية هو مايسمونه (بالشطح) وهي أن يتكلم أحد مشاهيرهم بكلمات غير معقولة أو تتضمن كفراً وزندقة في الظاهر ويقولون : إنه قالها في حالة جذب وسكر أما في حالة الصحو فيتراجع عنها وقيل في تعريف (الشطح) : « كلمة عليها رائحة الرعنون والدعوى تصدر عن أهل المعرفة باضطرار

١ - زكي نجيب محمود ثقافتنا / ٧٢ .

٢ - لاحظ هذا الإنقسام الدكتور زكي نجيب محمود وطبعاً الدكتور هنا لا يدافع عن الإسلام الحقيقي وإنما يدافع عن العقل واعتقاده بالمنصب الوضعي المنطقي العلماني الإتجاه .

الفصل الثاني

البدع العملية

المبحث الأول

تربيـة ذـلـيـلة

، أنت أمير في قيد الملا والصوفي ، أنت لأنأخذ الحياة عن حكمة القرآن ليس لك بآيات القرآن شأن إلا أن تموت بسهولة بسورة يس ،

أقبال

وضع الصوفية قواعد عامة ل التربية مريديهم وكلها تحوم حول الخضوع التام من المريد للشيخ ، بحيث يتحول التلميذ المسكين إلى آلة جوفاء تردد ما يقال لها بلا تفكير ولا شخصية مستقلة ، بل انيriad أعمى ، وحتى تتم هذه التربية الذلية ألزموهم بليس معين ومشية معينة وشيخ معين وطريقة معينة . ومن هذه القواعد المتعارفة بينهم :

- كن بين يدي الشيخ كالميت بين يدي المغسل .
- لا تعارض فتتطرد .
- من قال لشيخه لم ؟ لا يفلح .
- من لم يكن له شيخ فشیخه الشیطان .

ومشت الجماهير المغفلة وراء الشيوخ يقبلون الأيدي وينجتون لهم بالتعظيم كلما رأوه ، لا يتكلمون إلا إذا تكلم الشيخ ، يصدقون بكل ما يقول ، ويحملون له حذاءه وسجادته . وقد فلسفوا كل هذا في كتابهم تحت عنوان (آداب المرید) فقالوا : « ومن الأدب تعظيمه ظاهراً وباطناً ، ولا تصاحب له عدواً ولا تعادي له صديقاً ، ولا تكتم عنه شيئاً مما خطر ببالك (مثل اعترافات النصارى) ، ولا تسافر ولا تزور إلا بإذنه ، وأعظم من هذا قالوا : وحرم على المریدين السؤال لأن الشيخ قد يكون جاهلاً فيفحضر (١) .

وهذا الأسلوب في تربية الأتباع ليس مستحدثاً بل تكلم عنه القشيري في (رسالته) فقال : « من صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقوله فقد نقض عهد الصحة ووجبت عليه التوبة ، ثم إن الشيوخ قالوا : حقوق الأستاذين لاتوبة منها » (٢) .

وقد أدى هذا الأسلوب إلى الغلو في المشايخ ، والغلو في الصالحين فالغزالى هو صاحب الصدقية العظمى برأى أبي العباس المرسي (٣) ، والشيخ نجم الدين يستحي أن يصلى باتجاه القبلة وخلف الشيخ أبو العباس المرسي (القطب) فأدار وجهه باتجاه القطب !! ولكن أبو العباس كان متواضعاً فقال له : أنا لأأرضي خلاف السنة (٤) فقط خلاف السنة ترك القبلة !! وقد كان أحمد الشريف السنوسى — من المعاصرين — شديد الاعتقاد بعمه محمد

١ — إن مأورده أهل السنة من آداب المتعلّم بين يدي العالم ، واحترام العلماء وتوقيرهم ، يختلف عن ذاته الخضوع النفسي عند مريدي الصوفية.

٢ — هذه هي الصوفية / ١٠١ . ٣ — لطائف المنن / ٧٧ . ٤ — المصدر السابق / ٧٤ .

رضي الله عنه عندما تولى الخلافة « وإن أساءت قوموني » ويقول : « أي سماء تظلني وأي أرض تقليني إذا قلت في كتاب الله برأي » والصوفية يقولون : الشيخ يسلم إليه طريقته ، وأي طريقة مع الشرع ؟ ويكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقادة الجيوش وأمراء الأقاليم : « لا تضرروا أبشر الناس فتدلوا بهم » ذلك لأن الشعب الذليل لا يخاف فيه ، كما ذكر القرآن الكريم قصةبني إسرائيل عندما كانوا أذلاء تحت حكم فرعون ، فلما أراد موسى إخراجهم إلى العزة والكرامة قالوا له : « فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إننا هاهنا قاعدون »^(١) .

وعقل التابعون هذه التربية فكانوا يكرهون « أن توطأ أعقابهم »^(٢) وهو أن يمشي التلميذ وراء الشيخ ، ويقولون : « إنها فتنة للتابع والمتبوع »^(٣) ، ولم يعتد الصحابة تقبيل يد رسول الله عليه السلام وإذا وقع فيكون نادراً ، وذهب بعض العلماء إلى كراهية تقبيل اليد مطلقاً كالإمام مالك ، قال سليمان بن حرب : هي السجدة الصغرى^(٤) . وعن أنس بن مالك قال : « قلنا يا رسول الله أينحنى بعضاً لبعض ؟ قال : لا »^(٥) .

٣ — أما لماذا تسير هذه الألوف من البلهاء وراء شيخ الصوفية ربما يكون هروباً من الواقع ، ولعلها تصادف متفسراً غير حقيقي

١ — سورة العنكبوت / ٢٤ .

٢ — زهير بن حرب : كتاب العلم / ١٤٦ المنشور مع ثلاث رسائل بعنوان الإيمان —

تحقيق الألباني .

٤ — المسائل السجادية ٢ / ١٣٨ طـ .

١٣٤٤ .

٥ — سنن ابن ماجة ٢ / ١٢٢٠ كتاب الأدب .

المهدي الذي لا يرى فوق طبقته أحداً إلا سيد الكائنات محمدًا عليه السلام^(١) .

وانتقلت عدوى هذه الطريقة في التربية إلى الآباء فربوا أبنائهم على الطاعة العميم وأجبروهم على عادات معينة فيخرج الطفل شخصية ضعيفة .

ولنا على هذه التربية الملاحظات التالية :

١ — هذه الأساليب في تربية المربيدين هي أساليب ماكرة إما لتفطية ماعليه الشيخ من جهل بالدين وقلة بضاعة في العلم ، أو لممارسة أشد أنواع السيطرة على عقول وقلوب الناس وباسم احترام الشيخ . وقولهم (العلم في الصدور لا في السطور) إنما هو صرف للتلاميذ عن كتب الفقه والحديث لأنه إذا قرأ فربما يتفتح عقله — فيتباهي لما عند الشيخ من دجل وخرافات .

٢ — لم يرب أصحاب رسول الله عليه السلام هذه التربية الخانعة ولكنهم تربوا تربية القيادة والرجلولة ، فكان أحدهم يسأل رسول الله عليه السلام : أؤخي هذا أم هو الرأي والمشورة ؟ فإن كان الرأي والمشورة أدلّى برأيه كما فعل سعد بن معاذ في غزوة الخندق عندما رأى رسول الله عليه السلام مصالحة قبائل غطفان ، وكان عليه السلام بقيادته الحكمة يستمع لهم ويناقشهم وجوه الرأي ولا يقول لهم : كيف تعارضون علي وأنا سيد الخلق ورسول من رب العالمين ؟ ومع حبهم الشديد لرسول الله عليه السلام كانوا لا يقومون له ولا يقبلون يديه كلما دخل وذلك لمعرفتهم أنه يكره المبالغة في تعظيم البشر ، وعقل الصحابة عن رسول الله عليه السلام هذه التربية فكان أول ماتكلم به أبو بكر الصديق

١ — شكب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي ٢ / ١٦٠ .

لمشاكلهم وأرجح أنه ابتعد عن التكليف الذي يفرضه الإسلام وخاصة في أوقات الشدة والعسرة ، وبعض الناس يصدقون أنغرب القصص لمجرد رغبتهم في أن تكون هذه القصص صحيحة والواقع أنها غير صحيحة ^(١) .

المبحث الثاني

المتصوفة وعلم الحديث

من أصعب الأمور على المتصوفة وخاصة المتأخرین منهم الإهتمام بالعلوم الشرعية وخاصة الحديث والفقه ، لأن هذه العلوم تكشف ما هم عليه من جهل وإذا دخلت في قلوب وعقول التلاميذ فلابيقى حولهم أحد ، أما المتقدمون فكان لهم عناية بالعلوم الشرعية ولكن إما أن يكون أحدهم مقصوم الشخصية فتجده عالماً في الفقه وأصوله ولكن عندما يتكلم في التصوف ينقلب إلى شخصية أخرى كأنبي حامد الغزالى ، وإما أن يترك العلم بعد أن يكون قد أخذ بقسط وافر منه ، باعتبار أن العلم وسيلة للعمل فإذا وصل إلى العمل فلاداعي للعلم ، وهذه مغالطة لأن المسلم يحتاج للعلم حتى آخر لحظة من حياته ، وقد رمى أحمد بن أبي الحواري كتبه في البحر وقال : نعم الدليل كنتِ .



وأبو حامد الغزالى يبرر هذا البعد عن علوم الشرعية وهذا الميل من المتصوفة إلى علم الكشف فيقول : « إعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم بل قالوا الطريق تقديم المجاهدات والإقبال على الله ويقطع الإنسان همه من المال والولد والعلم ويقتصر على الفرائض والروابط ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا يكتب حدثاً » .

١ — انظر كتاب : كيف تفكـر ، تعریف منیر البعلبکی — ط. دار العـلم للملاـیـن .

قال ابن تيمية : « هذا حديث مكذوب موضوع »^(١) ولأندري كيف يروون هذا وأين عقولهم ؟ ولعل الحيات لسعت عقولهم وليس قلوبهم .

٣ - رروا حديثاً « لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه » وهو من كلام أهل الشرك والبهتان وقد سمعنا بعض مشايخ الصوفية في هذا العصر يحدث به ويعتقد به .

٤ - « ألبسو الصوف ، وشمروا ، وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا ملوكوت السماء » ذكر هذا أبو طالب المكي في (قوت القلوب)^(٢) ، وهل يتكلم الرسول ﷺ بمثل هذا الكلام ، وهل هذا إلا اختراع لتأييد مذهب التصوف بلبس الصوف .

هذه نماذج قليلة وغيرض من فيض مما امتلأت به كتبهم كالرسالة للقشيري حيث ذكر فيها الصحيح والضعيف والموضوع وحيث يروي عن الفضل بن عيسى الرقاشي وهي من أوهى الأحاديث وأسقطها^(٣) ، وارجع إلى (الإحياء) لترى العجب العجاب ، مما يدلنا على عدم احتجائهم بعلم الحديث أو الفقه ، بل ضربهم بالعلم كافة عرض الحائط .

- ١ - الفتاوى ١١ / ٥٦٣ .
- ٢ - زكي مبارك : التصوف ١ / ٤٤ .
- ٣ - الفتاوى لابن تيمية : ١٠ / ٦٨٠ .

يقول ابن الجوزي معلقاً على كلام الغزالى : « عزيز على أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لا يخفى قبحه ، فإنه في الحقيقة طي لبساط الشريعة »^(١) . ومن الأوهام التي وقعوا فيها قولهم : نحن نأخذ علمنا عن العي الذي لا يموت وأهل الحديث يأخذون علمهم ميتاً عن ميت وأنشد أحد شيوخهم :^(٢)
إذا طالبوني بعلم الورق يرزق عليهم بعلم الخرق

وبسبب إعراضهم عن الحديث جمعوا الغث والسمين والموضع والضعف في كتبهم مثل (الإحياء) و (الرسالة) و (حقائق التفسير) وهذه بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضعية الباطلة وكيف استندوا إليها وقرروا بها مذهبهم :

١ - قال بعض العارفين : أول المعرفة حيرة وآخرها حيرة وذكروا حديثاً باطلأ : « زدني فيك تحيراً » قال ابن تيمية : هذا حديث كاذب والرسول ﷺ يقول : « ربى زدني علمًا »^(٣) .

٢ - ذكر محمد بن طاهر المقدسي في مسألة (السماع) حديث الأعرابي الذي أنسد النبي ﷺ هذه الآيات :

قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لها ولا راقسي
إلا الحبيب الذى شغفته به فعنده رقتى وتراففى
وأنه ﷺ تواجه عندما سمع ذلك حتى سقطت البردة عن منكبيه ،

- ١ - ثلبيس إيليس / ٣٢٣ .
- ٢ - هو أبو بكر الشيلى قال عنه الذهبي : كان يحصل له جفاف دماغ فيقول أشياء يتعذر عنه فيها وله مجاهدات عجيبة انحرف فيها مزاجه ، انظر سير أعلام البلاء ١٥ / ٣٦٨ .
- ٣ - الفتاوى ١١ / ٣٨٤ .

من خطب على ظهره فيبيعها خير من أن يسأل رجلاً فيعطيه أو يمنعه^(١) ، وقال عليه السلام : « اليد العليا خير من اليد السفلة »^(٢) .

وكان سعيد بن المسيب يتجر بالزيت وكان أبو حنيفة يتجر بالقماش ... هكذا كان كبار العلماء والزهاد يعملون بأيديهم ويتحرون الكسب الحلال .

وكان الأوائل يمتنعون عن الزواج تشديداً وعمقاً ثم تطور الأمر بالمتاخرين من الصوفية إلى مُؤَاخَة النساء وإعطاء الطريقة للمربي ، وخلافات الذكر المختلطة ، مما يشعر بذنوبهم من مذهب الإباحية عند الباطنية لأن نظرية وحدة الوجود - التي استفحلت عند متاخرى الصوفية - تشجع على الإباحية « لأن الشواب والعقارب يصبح من المشكلات فمن الذي يثبنا حين نحسن ؟ ومن الذي يعاقبنا حين نسيء ؟ إذا كان الإنسان جزأاً من الله ، إنها خطر على عالم الأخلاق ، بل تأتي على قواعده من الأساس ، ولذلك عاش بعض الصوفية عيشة الففك والإحلال^(٣) ، وقد كان لابن الفارض وهو من شيوخ وحدة الوجود ، كان له مغنيات بالقرب من قرية (البهنسا) يذهب اليهن فيغنين له بالدف والشباية وهو يرقص ويتوارد^(٤) .

لم يرض عن هذا التطور بعض الصوفية المعتدلون كالشيخ أبي سعيد الأعرابي الذي يقول في كتابه (طبقات النساك) : « إن آخر من تكلم في هذا العلم الجنيد وأنه ما بقي بعد إلا من يستحي من

١ - النسائي / ٢ / ٩٣ باب الركأة .

٢ - نفس المصدر / ٣ / ٦٠ .

٣ - زكي مبارك : التصوف / ١ / ١٥٥ وانظر ابن حزم : الملل والنحل / ٤ / ٢٢٦ .

٤ - الآلوسي : جلاء العينين / ٧٩ .

المبحث الثالث

البطالة والانحلال

كان أوائل الصوفية أصحاب مجاهدات وعبادات ، صادقين مع أنفسهم وإن كانت بعض أعمالهم فيها تعمق وتشدد ومخالفة للسنة كما سبق أن قررنا ، ثم ظهر بعد ذلك أجيال بنيوا التكايا والزوايا وهي دكاكين للبطالة والطبل ، مستريحين من كذا المعاش ، متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص ، يطلبون الدنيا من كل ظالم ، وأين جوع (بشر) وورع (السري) وأين جد (الجنيد)^(١) ، مع أن بناء الأربطة والتكايا ولو للتبع والإنفراد هو بدعة في حد ذاته لأن بناء أهل الإسلام المساجد ، وبناء التكايا فيه تشبه بالنصارى لإنفرادهم بالأديرة . وقد قيل لبعض الصوفية أتبىع جبتك ؟ قال : إذا باع الصياد شبكته فبأي شيء يصطاد وقد استغرب الإمام محمد بن الحسن الشيباني من أكلهم الطعام عند الناس لا يسألون عن حلال أو حرام^(٢) .

ونسو أوتاراسوا أن الإسلام يأبى الركون إلى الكسل والبطالة ، وأن الزهد هو ترك ما في أيدي الناس والإستغناء عنه تنزهاً وليس الحصول على ما في أيدي الناس تسطعاً وقد نهى رسول الله عليه السلام عن السؤال وأمر بالإكتساب والعمل فقال : « لأن يحترم أحدكم حزمة

١ - انظر ماكتبه ابن الجوزي وأطال في بطلات الصوفية في كتابه : ثلبيس وليس .

٢ - الكسب / ٤٤ .

ذكره ^(١) ، كما حكى عن سهل التستري قوله : « بعد سنة ثلاثة لا يحل أن يتكلم بعلمنا هذا لأنه يحدث قوم يتصنعن للخلق ^(٢) ولكن الصوفية استمرت في تدهورها وأصبحت اكتسابة وتملقاً ، ولبسوا جلود الضأن وحملوا قلوب الذئاب .

المبحث الرابع

السماع والذكر

في البداية ، وعند أوائل الصوفية كانوا يحضرون مجلس (السماع) وهو الاجتماع في مكان معين لسماع منشد صاحب صوت حسن مع استعمال الإيقاع الموسيقي ، ينشد قصائد الرهد وترقيق القلوب ، ثم تطورووا إلى إنشاد قصائد الغزل وذكر (ليلي) و (سعدي) ويقولون نحن نقصد بذلك رسول الله ﷺ ، هذه القصائد التي تهيج الحب المطلق ، الحب غير المعين ، فكل يأخذ حسب هواه وما يعتلّج في قلبه من حب الأوطان أو حب النساء ...



وقد أباح لهم هذا السماع أبو حامد الغزالي وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم ، واحتجوا بأشياء واهية ضعيفة ، وليس هذا موضع مناقشة حكم الإسلام في الغناء ، فقد رد عليهم العلماء مثل ابن الجوزي وأجاد ابن القيم في مناقشة هذا الموضوع في كتابه (إغاثة اللهفان) ، وتبقى الحقيقة أن الأمة المسلمة أمة جادة ولا يحلل هذا الغناء إلا من لا يفقه الإسلام حق الفقه .

ولم يقتصر الأمر على هذه القصائد بل تطور إلى ذكر الله بالرقص والدف والغناء ، وعندما تقام الحضرة ^(١) تبدأ التراتيل بذكر

١ — مصطلح عند الصوفية يعني الاجتماع على ذكر الله بالرقص على شكل حلقة يكون الشيخ في وسطها وكأنه قائده أوركسترا .

١ — آدم متر : الحضارة الإسلامية ٢ / ٣٩ .
٢ — المصدر السابق ٢ / ٣٩ .

أكل البهائم ثم يقوموا للرقص ، بل هذا الرقص الذي يسمونه (ذكراً) وما يرافقه من منكرات مستقبح دينًا وعقلًا ، وهو وصمة عار أن يكون في المسلمين من يفعل هذا ، وصدق قول الشاعر فيما :

الآ قل لهم قول عبد بصوح
بأن الغنا سنة تتبع
متى علم الناس في ديننا
وأن يأكل المرأة أكل الحما
رويرقص في الجمع حتى يقع
ومأسكر القوم إلا القصع
وقالوا : سكرنا بحب الإله
ويسكره الناي ثم الغنا
و (يسن) لو تليت مالنصلع^(١)



١ - ابن القيم : إغاثة المهاجر ١ / ٢٣١ .

اسم الله المفرد (الله) بصوت واحد ، ولكن عندما يستند الرقص ويلعب الشيطان ببرؤوسهم يرعن عقيرتهم أكثر ويتحول اسم الله إلى (هو) ثم لا تسمع بعدها إلا همهمة ، وقد يجتمع مع هذا الصرخ والقفر في الهواء أحلاط الناس من النساء والأولاد لرؤية هذا (التراث الشعبي) ، حقاً إنها مهزلة اتبوا فيها سنن الدين من قبلنا فقد جاء في مزامير العهد القديم عن اليهود « ليتهج بنو صهيون بملكتهم ، ليسبحو اسمه برقص ، بدف وعود ، سبحوه برباب ، سبحوه بصنوج الهتاف »^(٢) .

جاء في (ترتيب المدارك) للقاضي عياض : « قال التنسني : كنا عند مالك بن أنس وأصحابه حوله فقال رجل من أهل نصبيين : عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيراً ثم يأخذون في القصائد ، ثم يقومون فيرقصون . فقال مالك : أصبيان هم ؟ فقال : لا . قال : أمجانين هم ؟ قال : لا هم مشائخ وعلماء . قال : ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا »^(٣) .

وقد يكون من أسباب فعلتهم هذه هو أن النفس تريد أن تغطي شهواتها باسم الدين والذكر والحضرة . ولو كشفت بصرامة عن نوازعها لكان الخطب أهون لأنها عندئذ تبقى في دائرة المعصية وهي أقل خطراً من البدعة . والله سبحانه وتعالى وصف الذاكرين له باطمئنان قلوبهم وخشوعهم وإخبارهم ، وقد كان السلف إذا سمعوا القرآن خافوا وبكوا واقشعرت جلودهم ، وهذا عكس الرقص والطرب ، ولم يأمر الله سبحانه حين أمر الناس بالعبادة أن يأكلوا

١ - هذه هي الصوفية / ١٤٣ .

٢ - ترتيب المدارك ٤ / ٥٤ ط. المغرب وقد حاول صاحب الكتاب (حقائق عن التصوف) محاولة سجدة للإشهاد بالإمام مالك والإمام الشافعي على أنها مسحان الصوفية وهؤلاء الأئمة أعلم وأكتر من هذا .

نفسه في سبيل الله ، وقولهم هذا ما هو إلا محاولة للهروب من تبعه القتال في سبيل الله بل هو صرف للمسلمين عن هذا العمل العظيم .

٣ — استرسل كثير منهم مع القدر الكوني وفهموا هذه المسألة فهـما خطأنا فظنوا أن الإسلام لما يقدر الله من عدو أو مرض أو فقر هو من باب الرضى بالقضاء ، ولذلك استكانوا للحكام الظلمة وقالوا : هذه إرادة الله وكيف تخالف هذه الإرادة ، فهم دائماً مع الحاكم سواء كان مؤمناً أم كافراً ، صديقاً أم زنديقاً^(١) و لم يعلموا أن قدر الله الكوني يدفع بالقدر الشرعي ، فالمرض يدفع بالدواء ، والعدو يدفع بالجهاد ...

٤ — وفي العصر الحديث وعندما اقتصمت بريطانيا وفرنسا أكثر بلاد المسلمين كانت بعض فرق الصوفية غارقة في أذكارها وكانت شيئاً لم يكن ، بل يقام للمعتمد البريطاني لدى سوريا الجنرال (سبيرس) حفلة (ذكر) على طريقة المولوية يدعوه إليها الشيخ هاشم العيطة شيخ الطريقيين السعدية والبدريه حيث أنشئت الأناشيد وقتلت المولوية ، ثم خطب صاحب الدار باسمه واسم إخوانه شيئاً على رئيس الجمهورية والملك جورج السادس والمُسْتَر تشرشل والجنرال سبيرس ، فأجاب الجنرال شاكراً^(٢) .

وفي الجزائر كانت فرنسا تشجع الطرق الصوفية وتسمح لهم بإقامة أذكارهم والخروج في أعيادهم بالطبلول والرايات ولذلك :

ساند الطريقين والمعمرين على المصليين ^(٣) « وكانوا يحضرون

١ — الفتاوى : ٢ / ١٠١ .

٢ — خليل مردم بك : يوميات الخليل / ٦٢ .

٣ — مبارك العيلي : رسالة الشرك ومظاهره ، انظر المقالة التي كتبها محمد العيلي في مجلة (الوطن العربي) بتاريخ ٩ / ١١ / ١٩٨٤ عن العيون الأجنبية وحركة الإصلاح الجزائرية .

المبحث الخامس المتصوفة والجهاد

تربي المسلمين الأوائل تربية جهادية ، فهم مستعدون دائماً لمصاولة الباطل والدفاع عن الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ينفذون في ذلك سنن الله سبحانه وتعالى ، فالشر لابد من دفعه بالخير وإلا فسدت الأرض ، وكان علماء السلف يرطبون في الشعور للحصول على فضيلة الجهاد ، مثل الإمام أحمد بن حنبل والإمام عبد الله بن المبارك ، وقصة ما كتبه ابن المبارك لفضيل بن عياض يعاتبه فيها على تفرغه للعبادة في مكة وعدم مشاركته في حماية الحدود الإسلامية هي قصة مشهورة ، فما هو موقف الصوفية من هذا الموضوع المهم ؟ حتى يتبيّن لناهذا لابد من الوقوف على بعض أقوالهم وأفعالهم :

١ — ألف أبو حامد الغزالي كتابه (إحياء علوم الدين) في فترة تغلب الصليبيين على بلاد الشام ، وتذكر المؤلف كل شيء من أعمال القلوب ولم يذكر أن يكتب فصلاً عن الجهاد .

٢ — يستشهدون دائماً بحديث ليس له أصل ويظنو أنه من كلام رسول الله عليه السلام على عادتهم في ذكر الأحاديث الضعيفة وهو : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ويعنون بالجهاد الأصغر القتال في سبيل الله والجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، وهذا الكلام ليس من هدي النبوة ولم يصح عن رسول الله عليه السلام شيء من هذا ، كما أن فيه مغالطة واضحة وأي جهاد أعظم من تقديم المسلم

أنهم أبعد من غيرهم ، حتى نجد في عوام المؤمنين من الحب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحبة والتعظيم لأمر الله والغضب والغيرة لمحارم الله ما لا يوجد فيهم . حتى أن كثيراً منهم يعدون ذلك (أي الجهاد) نقصاً في طريق الله وعيها^(١) . وربما يظنون أن الذكر والتفكير والفناء والبقاء هو الأصل والأهم .

بعد هذا الإستعراض لبعض آقوالهم وأفعالهم نستطيع أن نقر أن التربية الصوفية بطيئتها بعيدة عن فكرة الجهاد والقتال لأنها تعتبر الرياضيات الروحية هي الأصل والأساس ، وهذه الرياضيات لا تنتهي إلا إذا وصل أحدهم لمرحلة الفناء ، وإذا فني فكيف يجاهد !!

ونحن نتكلّم عن الصفة الغالية عليهم ، وإلا فقد يوجد وخاصة من المعتدلين من له مشاركة في دفع الظالمين ، ولكن الأكثرية هم مع المطاع المتغلب ولهذا قيل : « إن كل شعر التصوف ظهر في زمان ضعف المسلمين السياسي »^(٢) .

اجتماعات جمعية العلماء لخدمة لغaviاتها ولكن عيوناً لفرنسا والإدارة المحلية ولكن الجمعية أخرجتهم منها^(١) ، ولذلك كان أول عمل يقوم به باعث النهضة الإسلامية في الجزائر في هذا العصر الشيخ عبد الحميد بن باديس هو محاربة الطرق الصوفية وذلك أثناء تفسيره للقرآن الكريم في الجامع الكبير في مدينة قسنطينة . وإذا كان الأمير عبد القادر الجزائري قد حارب فرنسا فإنه وبتأثير تربيته الصوفية لم يكمل هذا القتال ، فقد عارض في استمرار الثورة ضد المحتل الفرنسي على يد ولده لأن الشيخ عاهد فرنسا لا يرفع في وجهها سيفاً مادام حياً^(٢) . وعندما نفي الأمير إلى دمشق واستقر بها كان على رأس العاملين على إعادة نشرتراث ابن عربي المملوء بفكرة (وحدة الوجود) الخبيثة الفاجرة .

وفي الهند وبعد ثورة ١٨٥٧ م المشهورة التي قام بها المسلمون ضد الإنجليز ، بعد هذه الثورة قتل من علماء المسلمين العدد الكبير ومنهم المحدث حسن الدلهلي . في هذه الفترة كتب أحمد رضا مؤسس الطريقة الصوفية (البريلوية) رسالة مستقلة باسم (إعلام الأعلام بأن هندوستان دار الإسلام) ووصفه لبلاد الهند بأنها دار الإسلام هو خدمة لبريطانيا حتى لا يقام فيها جهاد ضد الكفرة ثم قال بصرامة : « إنه لاجهاد علينا مسلمي الهند بنصوص القرآن العظيم ، ومن يقول بوجوبه فهو مخالف للمسلمين ويريد إضرارهم »^(٣) .

ولذلك يقول ابن تيمية عنهم : « وأما الجهاد فالغالب عليهم

١ - ابن تيمية
٢ - إقبال : الآسرار والرموز / ١٢ ترجمة عبد الوهاب عزام .

١ - المصدر السابق ١ / ٢٦٨ .
٢ - شبيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي ٢ / ١٧٢ .
٣ - إحسان إلهي ظهير : البريلوية / ٤٣ .

الصوفية اليوم

هل تغيرت الصوفية عما ذكرناه في الصفحات السابقة ، هل تركوا وحدة الوجود أو الغلو في المشايخ والسير وراء الأقطاب والأوتاد ، هل تركوا البدع التي وقعوا فيها والتي تختلف سنة رسول الله عليه السلام ، أم أنهم متمسكون بكل هذا التراث ؟ الواقع أنهم موجودون بكل الفئات التي ذكرناها وبكل العقائد الفاسدة والخرافات واللامعقول ، وبكل طرقهم الكثيرة المنتشرة على رقعة العالم الإسلامي كالشاذلة والنقشبندية والرافعية والقادرة والتجانية والبريلوية ... الخ من الطرق ، والتفرق لا ينتهي عند حد معين .

وصوفية اليوم منهم العوام الجهلة الذين لا يعرفون إلا الأذكار الجماعية والتماس البركات من الشيخ ، ومنهم الغلاة الذين يعتقدون بما يقوله ابن عربي وابن الفارض ، ومنهم علماء في الفقه ولكنهم يتسببون إلى طريقة من الطرق المشهورة وكان الإنتساب لها ضربة لازب ، أو كأنه يحس بنقص إذا لم يكن منتسباً إلى القوم ، فلابد أن يكون الشافعي مذهبًا والشاذلة طريقة ... ونجد هذا الفقيه لا يمارس طقوسهم ولا يعتقد الكثير من عقائدهم ولكنه التقليد والخوف من الخروج عن المأثور .

كان أحد مشايخ الصوفية من بلاد الشام يجلس في المسجد الحرام في مكة المكرمة ووجهه إلى الكعبة ولكن تلامذته يجلسون صامتين ووجوههم إلى الشيخ لأن النظر إلى وجه الشيخ عبادة ، ولم

يكن يلقي عليهم درسا . وعندما يقوم من مجلسه يسرعون لخدمته فأحدهم يمسك له الحذاء وأخر يتناوله العصا ، ويمشون وراءه كأن على رؤوسهم الطير . أليست هذه هي التربية الذليلة التي تكلمنا عنها ؟

صوفي آخر من بلاد الشام يوزع على تلامذته (ورد الشاذلة) وأوله بالحرف الواحد : « اللهم انشلي من أوحال التوحيد وأغرني في عين بحر الوحدة » أليست هذه هي وحدة الوجود بعينها ؟
وعندما أراد الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقاً أن يكتب سيرة سيده أبي العباس المرسي ذهب إلى قبر (البدوي) يستأذنه في الكتابة فأذن له !! (١) ويدعى الشيخ إلى الهند للمشاركة في احتفال إقامة قبة على قبر شيخ من شيوخ الصوفية هناك فيلبني الدعوة ، ألا يعلم شيخ الأزهر أن الرسول عليه السلام نهى عن ذلك ؟ ألا يعلم الصوفية أن الرسول عليه السلام نهى عن اتخاذ القبور مساجد ؟ فلماذا لا يمثلون أمره إذا كانوا يحبونه كما يدعون ؟ إنما هو الهوى عين النفس بالبدعة تخرب العقل فيهدم الدين هدما .

ولايزال أصحاب الطريقة الرفاعية عندما يجتمعون (للحضر) يضرب أحدهم نفسه بالآلة حادة تسمى (الشيش) وإذا لم تؤثر فيه يقولون : هذه كرامة له ، وإذا كان فاسقاً قالوا : هذه كرامة لشيخ الطريقة !!

وإذا ذهبت إلى شمالي بلاد الشام أو مصر أو المغرب ترى هذه البهلوانية على الطريقة الرفاعية . وما يفعل في مصر من احتفالات مولد البدوي أو الحسين ، حيث خفقات الرقص والطبل والزمر ، وحيث

١ - راجع تقدمة الكتاب المذكور لمؤلفه .

ولها أتباع كثيرون من الحمقى والمعفليين ، ومبادئها تمثل الغلو في شخص الرسول ﷺ ومعاداة أهل السنة ^(١) ، قال مؤسس الطريقة أحمد رضا ^(٢) موضحاً منهج الصوفية في الإبعاد عن التوحيد : « إذا تحيرتم فاستعينوا بأصحاب القبور » ^(٣) ويقول في غلوه في شخص الرسول ﷺ : « إن رسول الله ﷺ متصرف في كل مكان وهو مالك الأرضين ، ومالك الناس » ^(٤) ، وأما عن علاقته بال المسلمين في الهند فهو معاد لأهل الحديث يسب ويشنتم أمثال القائد العالم إسماعيل الدهلوi الذي استشهد في معركة مع طائفة (الشيخ) الكفرة .

وأخيراً هناك سؤال لابد منه وهو : لماذا هذا الإهتمام بالصوفية من دوائر الإستشراق ، بل يمكن القول بأن كثيراً من بحوث التصوف الحديثة ترجع إلى عمل المستشرقين ، الذين اهتموا بالتعليق على موضوعاته وإخراج المؤلفات الصوفية وطبعها ونشرها ، وقد ترجمت إلى الألمانية تأليف ابن الفارض في مدينة فيينا سنة ١٨٥٤ ، كما ترجمتها إلى الإيطالية (أكنيزوا) في روما عام ١٩١٧ وإلى الإنجليزية (نيكلسون) عام ١٩٢١ ^(٥) . وقد أمضى المستشرق الفرنسي (ماسيون) كل حياته متفرغاً للكتابة عن الحسين بن منصور الحلاج الذي أفتى علماء بغداد بقتله لقوله بالحلول وقد كتب (ماسيون)

- ١ — كتب عنهم الأستاذ إحسان الهي ظهير بعنوان (البريلوية عقائد وتاريخ) وبين فساد منهجهم وضلالهم .
- ٢ — ولد في مدينة (بريلي) من مدن الهند عام ١٨٦٥ يصفونه بأنه حاد المزاج لعانياً بذنبه سرير التكبير لمخالفته ، توفي عام ١٩٢١ .
- ٣ — البريلوية / ٦٠ .
- ٤ — المصدر السابق / ٦٩ .
- ٥ — بدوي : تاريخ الصوف / ٣٠ .

الإختلاط بالنساء وتضييع الفرائض شيء يخجل منه أهل الإسلام ويترأّ منه دينه وشرعيه ، والأزهر بجوارهم ومamen منكر عليهم ، وتقام الصلاة في مسجد الحسين ولا يدخلون للصلاة لأنهم جاءوا للإحتفال (بسيدنا الحسين) ولا للصلوة .

واللطرق في مصر شيخ مشايخ لهم مجلة تذكر في عددها (٥٧) أن الطريقة الحامدية الشاذية أقامت احتفالاً بذكرى سيدهم ابراهيم سلامة الراضي واعتذر شيخ المشايخ عن الحضور لأنه مشغول باحتفالات مولد (البدوي) والعدد القادم للمجلة يحتفل بعيد المولد النبوi ... وهكذا أيامهم كلها أعياد واحتفالات لاتنتهي ، ولكل طريقة احتفالاتها :

وكم في مصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء وأما في إفريقيا فالبلاء أعظم والخطب أعم ، فالطريقة التيجانية تسيطر على غرب هذه القارة وخاصة في السنغال ، ويكفي للتدليل على قلة عقولهم وضلالهم قول مؤسس هذه الطريقة : « من حصل له النظر فيما يوم الجمعة والإثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب » ^(٦) ، قوله : « وسألته ﷺ لكل من أخذ عني ورداً أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر » ^(٧) أليست هذه دعوة إلى الإنحلال وترك التكاليف [فالنظر إلى الشيخ يدخل الجنة بلا حساب] !!

وإذا يمتن وجهك صوب المشرق فثم البلاء كله ، فالهنود مغمون بالمبالغات والقصص الغريبة عن شيوخ الصوفية . وقد انتشرت في هذا العصر الطريقة (البريلوية) وامتدت إلى باكستان

- ١ — علي الدخيل الله : التيجانية / ٢٣٨ ط. دار طيبة - الرياض .
- ٢ — المصدر السابق / ٢٢٢ .

عن الحلاج ثلاثة مجلدات^(١) . والمستشرقون لم يهتموا بالصوفية وإلزام الغلاة منهم فقط ، بل بكل الفرق كالمعترضة والشيعة والخوارج ، فلماذا هذا الإهتمام إن لم يكن لإلزام الوجه الآخر لتاريخ المسلمين وليسهم الضاللون في ضلالهم .

كلمة الأخيرة

إن المهمة الرئيسية التي نرجوها من وراء بحثنا هذا هي تجليل أسباب التفرق وماينشا عنه من الإبتعاد عن الصراط المستقيم وعن منهج أهل السنة والجماعة ، ولذلك سنذكر بعض العوامل والصفات المشتركة التي ساعدت على تشكيل الصوفية وإظهارها بصورةها الحالية ، وأعطتها ملامحها الأساسية التي تعرف بها وتميزها عن غيرها ، وبذلك يسهل على المسلم معرفة الخير من الشر ، ويسهل عليه تمييز الواقع الحالي لدعاتها ومنتسبيها ، وسنذكر هذه الصفات والعوامل بإيجاز مركز .

أولاً: ضعف العلم الشرعي : وهو — كما يقول ابن الجوزي — من أول تلبيس إبليس عليهم ، إذ قالوا : المقصود هو العمل ، ونحن نعبد الله ونذكره دائماً ، وقد تركنا الدنيا واتجهنا إلى الله . ومن هذا التصور بدأً مصباح العلم يختفت ضئولاً شيئاً فشيئاً ، فأعرضوا عن العلم الشرعي الذي هو طريق العمل الصحيح كال الحديث والفقه والتفسير ، فغلب عليهم الجهل وانتشرت البدعة والخرافة بينهم . فعبادات أكثر المتصرفون وخاصة العوام منهم حشوها البدع وذلك لما أشعاع مشائخهم من مفاهيم مغلولة عن البدع حستتها في عقولهم .

ثانياً: التأويل :

وهي مشكلة عامة الفرق ، والبقاء المشترك بينها ، فقد جنحوا إلى تأويل النصوص وحذفها عن ظاهرها المتباذر إلى معان لا تليق بها



١ — جاء في مقدمة شرح ديوان الحلاج للدكتور كامل مصطفى الشبيبي رواية يرويها قس سرياني عراقي مقيم في باريس يدعى دهان الموصللي يقول هنا القس أن المستشرق لويس ماسينيون كلفه في ربيع ١٩٥٣ بإقامة قداس خاص على روح الحسين بن منصور الحلاج في البعثة التي يشرف عليها في العاصمة الفرنسية يوم ذكرى وفاته ، ويذكر الموصللي أنه دهش لطلبه وذكره بان الحلاج مسلماً فقال ماسينيون : الحلاج رجل متصرف روحي وآثر فوارق الأديان لا يحسب لها حساب في حالته . انظر المقال الذي كتبه جهاد فاضل في مجلة العوادث العدد / ١٤٢ .

مناهج الصحابة والتابعين ، وانحطت تقديرهم للسلف — وإن أظهروا غير ذلك — لأنهم ربما نظروا إليهم على أنهم فهموا الإسلام فيما سطحياً وأن المشايخ والأولياء قد تقربوا إلى الله بما لم يتقرب إليه أحد من الرعيل الأول ، وأنهم وصلوا إلى مراتب لم يصلها أحد من السابقين الأولين ، وكان من نتيجة ذلك عدم العودة إلى منهج الصحابة والتابعين عند الاختلاف ، وحرموا الإستفادة من خير جيل .

خامساً: الصلة بين التصوف والتشيع :

إن صلة الصوفية بالتشيع شيء مؤكدة ، فمراجعهم دائماً من الصحابة هو علي بن أبي طالب أو الحسن بن علي « الذي هو أول الأقطاب »^(١) ، وقالت الصوفية بالقطب والأبدال وهذا من أثر الإماماعيلية والشيعة^(٢) . وعوامل نشأة الفرقتين وطبيعة كل منها توجب أن يقترب التشيع والتصوف ، فالشيعة انهزموا في ميدان السياسة ، والصوفية انهزموا في ميدان الحياة ، وأهل فارس هم أكثر الناس تصوفاً بين الأمم الإسلامية^(٣) ، وقد أخذ الصوفية فكرة الحياة المستمرة لبعض الأشخاص من الشيعة الذين يقولون بمهدية فلان أو فلان وأنه حي إلى الآن . قال ابن حزم : « وسلك في هذا السبيل بعض نوكي الصوفية فزعموا أن الخضر وإلياس عليهم السلام حيّان إلى اليوم »^(٤) .

وقد اعتمد السلمي في تفسيره على ما يروى عن جعفر الصادق من تأويلات للقرآن مخالفة للمنهج الصحيح في التفسير ، فإذا قالت الشيعة في تفسير قوله تعالى ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجَالٌ هُوَ عَلَى

١ - لطائف المتن / ٦٧ .

٢ - صديق حسن خان : أبجد العلوم / ٢ / ١٦٠ .

٣ - زكي مبارك / ٢ / ٢٨ . ٤ - د. مصطفى الشبيبي : الصلة بين التصوف والتشيع / ١٣٦ .

حتى يستدلوا بها على مذاهبهم وأقوالهم الفاسدة ، وقد رأينا من قبل أمثلة من تأويلهم للآيات القرانية في مبحث (الشريعة والحقيقة) وأنهم قد أغروا بالإثبات بمفهوم مخالف للفهم المستقيم ظناً منهم أن تلك هي مرتبة الخواص ، والتأويل بهذا المعنى من شيم الباطنية ، وحصلة من خصال أهل الكتاب الذين قال الله فيهم : ﴿هُوَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ هادوا بحرفون الكلم عن مواضعه^(٥) .

ثالثاً: الغلو في المشايخ :

تحدثنا عن هذه الظاهرة خلال سردنا لمعتقداتهم في الأقطاب والأوتاد وفي الأولياء والكرامات وانعكاس ذلك على التربية الذليلة التي يراض بها المربيون خضوعاً لذوي العصمة من مشايخهم ، ولاشك أن هذه الظاهرة من الصفات المميزة المقبوحة لدى الصوفية ، وهي كالتأويل صفة مشتركة بينهم وبين الشيعة ، وبينهم وبين النصارى ، فالشيعة غالباً في أئمتهم فقالوا بعصمتهم والنصارى غالوا في المسيح عليه السلام فرفعوه إلى مرتبة الألوهية ، وهو ما حذر منه رسول الله ﷺ فقال : « لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله »^(٦) . وقد قال بعض العلماء : « من فسد من علمائنا فقيه شبه باليهود ، ومن فسد من عبادنا فقيه شبه بالنصارى » والموفق من أتجاه الله من براثن الغلو ومن التشبه بإحدى هاتين الطائفتين .

رابعاً: بعد عن منهج السلف :

كانت النتيجة الطبيعية لإبتداع الأفكار والأعمال لدى الصوفية أن بعثت مناهجهم في الإعتقادات والعبادات جميعاً عن السنة وعن

١ - سورة النساء / ٤٦ .

٢ - أخرجه الترمذى في الشمائل المحمدية . انظر : مختصر الشمائل للشيخ الألبانى / ١٧٤ ، وقال عنه : حديث صحيح .

وأخيراً فإننا لم نكتب عن الصوفية إلا لنوضح منهج أهل السنة ونميزه عن غيره — وما كتبنا عن رغبة في التجريح والنقد — لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، ولأنه دين الله الذي أنزله على رسوله عليه صلوات الله عليه وفهمه السلف وهو لا يتحمل هذه الطرق التي تفرق به عن سبيله ، ولا يمكن أن تكون الصوفية — وبأقل درجاتها وأقصى اعتدالها — لا يمكن أن تكون هي منهج الإسلام ، لهذه الأسباب كتبنا عنها وأما الذين يقولون : إن الصوفية ماهي إلا سلوك وتهذيب للنفس ورياضة روحية ، هؤلاء يقال لهم : إذا لم تكن توجيهات القرآن الكريم وتوجيهات السنة النبوية فيما تهذيب للنفس والسمو بها إلى درجات يحبها الله ورسوله فلا خير فيما خالف هذه التوجيهات سواء في الصوفية أو غيرها ، وإذا كان قدماء الصوفية قد تكلموا بكلمات مقبولة عن خبايا النفس الإنسانية وتعرجاتها ، ومعالجة أمراض القلوب ، فهذا شيء طيب وهو من أمر الله ورسوله ولأنهم صوفية لأنها أصبحت علماً على كل ماذكرناه من البدع ، ولابد لمن يأخذ بها أن يصيبه شيء منها ، فالغزالى الذي تكلم فأجاد عن أمراض القلوب قد وقع في حبائلهم الوجودية عندما قال : « ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى ذروة الحقيقة فرأوا بالمشاهدة أن ليس في الوجود إلا الله » وهذا هو القول بوحدة الوجود ^(١) .

شيء آخر لابد أن يكون واضحاً وهو أنه عند توضيحنا لمنهج الصوفية فهذا لا يعني أن كل فرد من أفرادهم قد حكمنا عليه بفساد المعتقد وسوء المنقلب ، فكثيراً ما يتبع الحق بالباطل ويجتمع في الرجل الواحد الخير والشر والسنة والبدعة ومن العدل أن نذكر هذا وهذا لأن بعض الناس يظلون أن الصوفية هي الطريق الصحيح لما

١ - مصطفى صبرى : موقف العقل ٣ / ٩٤ .

بن أبي طالب يعرف أنصاره بأسمائهم ، قال السلمي : أصحاب المعرفة أصحاب الأعراف ، وقال ابن عربى : « رجال هم العرفاء أهل الله وخاصة » ^(٢) .

ويذكر السراج أنه « لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من بين جميع أصحاب رسول الله عليه صلوات الله عليه خصوصية بمعان جليلة وإشارات لطيفة وألفاظ مفردة وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والعلم ، تعلق وتخلق بها أهل الحقائق من الصوفية » ^(٣) ، وعلى رضي الله عنه من علماء الصحابة وأفضلهم بعد سابقيه في الخلافة فلماذا هذه الخصوصية ؟

كما أخذ الصوفية مسألة عصمة الولي من الشيعة الذين يقولون بعصمة الأنمة ولكنهم أخفوها فترة من الزمن فسموها (الحفظ) ثم صرخ بها القشيري فقال : « واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولاء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصي والمخالفات ، ويجوز أن يكون من جملة كرامات ولبي الله أن يعلم أنه ولبي » ^(٤) . ومن المواقف الغريبة أن كل زعماء الطرق الصوفية يرجع نسبهم إلى علي بن أبي طالب ويتوارثون زعامة الطريقة كإمامية عند الشيعة ، وإذا كانت المشيخة هي محصول المجاهدة والسلوك فهل ولد الشيخ يجب أن يكون شيخاً ؟

إن الشيخ عبد القادر الجيلاني يرجع نسبه إلى آل البيت وكذلك الشيخ أحمد الرفاعي والبدوى وأبو الحسن الشاذلى والبكباشى والسنوسى والمهدى وكل زعماء الطرق حتى في البلاد الأعجمية مثل محمد نور بخش وخواجة اسحق وباليم سلطان ... ^(٥) .

١ - المصدر السابق / ١٩١ .
٢ - نفس المصدر / ٣٤٣ .
٣ - المصدر السابق / ٣٨٦ .
٤ - نفس المصدر / ٤٤٦ .

فقد صرخ بأنه غني عن الرسول ﷺ (١) .

والقشيري يعتبر الصوفية أفضل الناس بعد الأنبياء والرسل ، وهم غياث الخلق !! ولأدري ماذا ترك للصحابة والتبعين والعلماء العاملين . وصدق الله تعالى : « كل حزب بما لديهم فرحون » (٢) ولو أنصفوا وقادوا أنفسهم بمقاييس الشريعة المعصومة لعلموا أنهم مبتدعون ، ولكنه التعصب والإعجاب بالنفس . والقضية ليست في قول فلان من الناس : هذا هو طرقي أو مأرضي لنفسي ولكن القضية أنه ليس هناك إلا طريق واحد هو الحق ، طريق أهل السنة والجماعة ، وليس بعده إلا الضلال .

ونحن ندعوا دائماً مع الرسول ﷺ :

« اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » (٣) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

نشاؤا عليه من صغرهم أو ما شاهدوه من آباءهم ومشايخهم ، ولكن لا بد من تبصيرهم بدينهم الحق وإعادتهم عن البدع التي يحسبونها صغيرة وهي عند الله كبيرة .

إن ابن تيمية — الذي يعتبرونه العدو الأكبر لهم — عند معارضته بين الصوفية والمتكلمين يفضل الجانب العبادي العملي عند المتصوفة بالمقارنة مع الجدل النظري عند المتكلمين ، والظاهر أنه لاحظ ماعليه أوائل الصوفية من استقامة على المنهج الصحيح في موضوع الأسماء والصفات مع كثرة عبادتهم ، ولكنه لم يلاحظ أنهم هم أنفسهم يخلطون في أمور التوحيد والعلم والعمل ، فالكلاباذى الذى يوصف بأنه معتدل يعرف التوحيد « أن لا يشهدك الحق إياك » (٤) وهو تعريف يحمل الحق والباطل ، ونجد القشيري يتكلّم عن عصمة الأولياء ، وأخطاء السلمي في التفسير عجيبة ، وقصص الغزالى في الإحياء أعجب وحتى القدامى منهم كالجنيد والشبلى والمحاسى لهم أخطاء واضحة ، وهؤلاء يوصفون بالإعدال .

وابن تيمية كثيراً ما يقرن بينهم وبين المتكلمين فيقول : هؤلاء انحرفوا في كذا ، وهؤلاء انحرفوا في كذا ، والمقصود طبعاً غلة المتكلمين كالرازى والآمدى ، وإنما فهل يقارن بين أبي بكر الباقلانى وأمثاله من متكلمي الأشاعرة وبين خزعبلات الصوفية ، وأين علم أبي بكر ودفاعه عن الإسلام وفقهه من شطحات وغموض الصوفية؟ ولذلك كان عالم آخر كابن عقيل صريحاً أكثر في رأيه عندما يقول : « والمتكلمون عندي خير من الصوفية لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه ، ومن قال حدثني قلبي عن ربي

١ - تلبيس إيليس / ٣٧٥ .

٢ - سورة المؤمنون / ٥٣ .

٣ - جامع الأصول ٤ / ١٨٨ ، قال : أخرج مسلم والترمذى وأبو داود والنسائي .

على الكسب فما أرخص ماباع أبو حامد الفقه بالتصوف وسبحان من أخرجه من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الإحياء «^(١)».

وقال أبو بكر الطروشي : « شحن أبو حامد كتاب الإحياء بالكذب على رسول الله ﷺ ، وما على بسيط الأرض أكثر كذباً منه شبكة بمذاهب الفلسفه ومعاني رسائل إخوان الصفا »^(٢).

وقال الذهبي : « فيه من الأحاديث الباطلة جملة ، وفيه خير كثير لو لا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طريق الحكماء ومعرف الصوفية »^(٣).

٢ - كتاب (قوت القلوب) لأبي طالب المكي :

قال الشاطبي : « لأبي طالب آراء خالف فيها العلماء ، حتى أنه ربما خالف الإجماع في بعض الموضع ، لكن له كلام حسن في الوعظ والتذكير والتحريض على طلب الآخرة ، فلذلك إذا احتاج الطلبة إلى كتاب طالعوه متحرزين ، وأما العوام فلا يحل لهم مطالعته »^(٤).

قال ابن كثير : « كان رجلاً صالحًا له كتاب (قوت القلوب) ذكر فيه أحاديث لأصل لها ، بدّعه الناس وهجروه »^(٥).

٢ - عبد اللطيف آل الشيخ : الرسائل
١٣٧ / ٢

٤ - الإنفادات والإنشادات / ٤٤

١ - تلخيص الميلاد / ٣٥٣ .

٣ - المصدر السابق ٣ / ١٤٠ .
٥ - البداية والنهاية ١١ / ٣١٩ .

ملاحق البحث

أ - رأي العلماء في كتب الصوفية

١ - كتاب (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالى :

قال ابن تيمية : « الإحياء فيه فوائد كثيرة ، لكن فيه مواد مذمومة فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلسفه تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد ، وقد أنكر أئمه الدين على أبي حامد هذا في كتبه وقالوا : أمرضه الشفاء ، يعنيون (كتاب الشفاء) لابن سينا في الفلسفه ، وفي الإحياء أحاديث وآثار ضعيفة بل موضوعة كثيرة ، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم ، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية المستقيمين في أعمال القلوب الموافق لكتاب والسنة ، وأما ما فيه من الكلام في (المهلكات) مثل الكلام على الكبير والعجب والحسد فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في (الرعاية) ، ومنه ما هو مقبول وما هو مردود »^(٦).

وقال ابن الجوزي : « وإنني لأنتعجب من أبي حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة ، كيف يحل القيام على الرأس طول الليل ، وكيف يحل إضاعة المال ، وكيف يحل السؤال لمن يقدر

٦ - الفتاوى : ١٠ / ٥٥١ .

٣ - تفسير أبو عبد الرحمن السلمي :

قال ابن تيمية : « يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة والكلام المنقول ما ينفع به في الدين ، ويوجد فيه من الآثار السقمة والكلام المردود ما يضر من لأخبرة له ، وبعض الناس توقف في روايته » ^(١).

قال الذهبي : « له كتاب يقال له (حقائق التفسير) وليته لم يصنفه ، فإنه تحرير وقرمطة ، ودونك الكتاب فستر العجب » ^(٢). قال الواحدي : « فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر » ^(٣).

ب -

الخلوات عند الطريقة الرفاعية ^(٤)

« يتقدم المريد إلى رتبة الجاويش أو المقدم بعد اجتياز خلوتها الأربعة :

الأولى : ثلاثة أيام والإبتداء فيها يكون يوم الأحد
الثانية : ثلاثة أيام والإبتداء فيها يكون يوم الإثنين
الثالثة : أربعة أيام والإبتداء فيها يكون يوم الثلاثاء

١ - الفتاوى ١١ / ٥٧٨.

٢ - محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ٢ / ٣٨٦.

٣ - المصدر السابق ٢ / ٣٨٦.

٤ - لفظة (الطريقة) عند المتأخرین تطلق على مجموعة أفراد من الصوفية يتبعون إلى أحد مشايخ الصوفية المشهورين ولهم أذكار وأوراد خاصة بهم ، ويختضعون لنظام معين في السلوك .

الرابعة : خمسة أيام والإبتداء فيها يكون يوم الأربعاء ويفصل بين كل منها عشرة أيام .

شرط الأكل فيها ألا يأكل المتربيض إلا في الصباح والمغرب ، ولايزيد فيها على مائة الرمق ، وبشرط ألا يدخل شيئاً ذا روح ^(١) ، وأن يكون محجوباً عن الناس تماماً في مكان مخصوص ظاهر لا يدخله أحد ، ويشتغل بالذكر وهو (ياحميد) بعد أقله ثلاثة آلاف مرة عقب كل صلاة ، وفي الرياضة الثانية يكون ذكره (يارحيم) أقله أربعة آلاف مرة ، وفي الرياضة الثالثة (ياوهاب) وأقله خمسة آلاف مرة وإلى جانب هذه الخلوات المخصوصة ، بمختلف الدرجات ، على كل الإخوان في الطريق الرفاعي ، وكل من أخذ العهد أن يقوم بخلوة سبعة أيام ابتداء من اليوم التالي من عاشوراء ، وشروطها صيام السبعة أيام المذكورة ، ولا ينام في تلك الأيام السبعة مع عياله بفرش قطعاً ولا يأكل من ذي روح . وقد قال الرفاعي : إن خلوة السبعة سبب الفيض للسلوك والمرید الصادق » ^(٢).

١ - لاحظ أثر الهندوسي والنصراني .

٢ - عامر النجار : الطرق الصوفية ١٠٤ / ١٠٠ ، وانظر : أبي المعالي الألوسي في كتابه : غاية الأمانى ١ / ٢٣٠ .

ويعلق الدكتور الشيشي : « فهذه الأيام السبعة تعني إظهار الحزن الشديد على الحسين كما يفعل الشيعة على صورة فيها مبالغة ولكن تقدير العهد أنس أصحاب الطريقة وغيرهم دلالات مراسمها فلم يلتفتوا إلى المحرمات السرية التي تصلهم بالتشيع » .
الطرق الصوفية ١٠٤ / ١٠٤ .

قال ابن خلدون : « قد كثر الزغل في أصحاب الشيخ أحمد وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أحد التأريخ العراقي مثل دخول النيران واللعب بالحيات ، وهذا لا ينعرف الشيخ ولا لصلاحه أصحابه ». انظر : غاية الأمانى ١ / ٣٧١ .

« مارأيت صوفياً فيه خير إلا واحداً عبد الله بن مرزوق وأنا أرق
لهم »

« من كان يومه مثل أمه فهو في نقصان »

« لولا الليل ما أحبيت البقاء في الدنيا ، وما أحب البقاء في الدنيا
لتشقيق الأنهر والاغرس الأشجار » (١) .

— ترجمة العلاج —

قال ابن كثير : « ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه مالم يكن قاله
أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله فنقول : هو الحسين بن منصور
العلاج ، كان جده مجوسياً من أهل فارس ، نشاً بواسط ودخل
بغداد وتردد إلى مكة ، وكان يصابر نفسه ولا يجلس إلا تحت السماء
في وسط المسجد الحرام ، وقد صحب جماعة من سادات الصوفية
كالجند وعمرو بن عثمان المكي وأبي الحسين التورى ، قال
الخطيب البغدادي والصوفية مختلفون فيه فأكثراهم نفوا أن يكون
العلاج منهم وقبله بعضهم كأبي العباس البغدادي ومحمد بن خيف
وابراهيم بن محمد وصححوا حاله .

حكي عن غير واحد من العلماء إجماعهم على قته وأنه قتل
كافراً . وكان مشعوباً متواناً فهو مع كل قوم على مذهبهم إن كانوا
أهل سنة أو رافضة أو معتزلة أو صوفية أو فساقاً وغيرهم ، وزار
يضل الناس ويسموه عليهم حتى ادعى الريوبوية فسجن في بغداد

١ — انظر : حلية الأولياء ٩ / ٢٥٩ — ٢٦٣ وكذلك صفة الصفة ٤ / ٢٢٣ .

— ورد (جوهرة الكمال) في الطريقة الشيجانية —

« اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية ، والياقوتة المتحققة
الجائحة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكون المكونة الآدمي ،
صاحب الحق الرباني ، البرق الأسطع بمزون الأرياح المائلة لكل
متعرض من البحور والأوانى ، اللهم صل على عين الحق التي تتجلى
منها عروش الحقائق ، عين المعارف الأقوام ، صراطك التام الأسمى ،
اللهم صل على طلعة الحق بالحق الكثر الأعظم . صلى الله عليه وسلم
وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه » (٢) .

— كلمات لأبي سليمان الداراني (٢) —

« مفتاح الآخرة الجوع ، ومفتاح الدنيا الشبع ، وأصل كل خير
في الدنيا والآخرة الخوف من الله تعالى »

« ليس العبادة عندما أن تصنف قدسيك وغيرك يفت لك ولكن
أبداً برغيفيك فاحرزهما ثم تبعد ، ولا خير في قلب يتوقع قرع الباب ،
يتوقع إنساناً يجيء يعطيه شيئاً »

١ — علي الدخيل الله : الشيجانية / ٢٦٢ ، وهذا عدا ما فيه من البدع أو الكفر فيه تكليف
شديد تمحجه الفطرة السليمة ، وأكثر أوراد الطرق الأخرى فيها هذا التكليف .

٢ — هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطيه العسني ينسب إلى بلدة داريا الواقعة في غوطة
دمشق ، وهو من أوائل الصوفية المعتدلين ومن أشهر تلامذته أحمد بن أبي
الحواري ، توفي سنة ٢٠٥ هـ ، انظر : طبقات الشعراني ١ / ٧٩ .

وأجمع الفقهاء على كفره وزندقة وأنه ساحر ممحوق ، قتل ببغداد بعد فتوى الفقهاء » (١) .

قال الأصطخري : الحلاج كان رجلاً يتحل النسك فما زال يرتقي به طبقاً عن طبق حتى انتهى به الحال إلى زعم أنه من هذب في الطاعة نفسه وأشغل بالأعمال الصالحة قلبه وصبر على مفارقة اللذات ، ارتقى بها إلى مقام المقربين ثم لا يزال يتنزل في درج المصادفة حتى يصفو عن البشرية في طبعه وعندئذ يحل فيه روح الله الذي كان من عيسى بن مريم فلا يزيد شيئاً إلا كان » (٢) .

ثُبَّتِ الْمَرَاجِعُ

أحمد بن عبد الحليم الفتاوي : ط. الرياض اقتضاء الصراط المستقيم درء تعارض العقل والنقل : تحقيق رشاد سالم الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح الإستقامة : تحقيق رشاد سالم محمد بن أبي بكر مدارج السالكين إغاثة اللهاfan عبد الرحمن بن علي صفة الصفوة تلبيس إيليس ابن عطاء الله السكندري : لطائف المنن أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين اللمع المقدمة اسماعيل بن كثير البداية والنهاية أبو المعالي محمود شكري غاية الأماني في الرد على النبهاني نعسان خير الدين جلاء العينين في محاكمة الأحمدية	ابن تيمية : ابن القيم : ابن الجوزي : أبو نصر السراج : ابن خلدون : ابن كثير : الآلوسي : الآلوسي :
--	---

١ - البداية والنهاية ١١ / ١٣٨ .
 ٢ - آدم متز : الحضارة الإسلامية ٢ / ٦٣ .

أبو بكر محمد	الكلبادى :
التعرف لمذهب أهل التصوف	
ظهر الإسلام	أحمد أمين :
الشيعة وأآل البيت	إحسان إلهي ظهير :
يوميات الخليل	خليل مردم بك :
التصوف الإسلامي في الآداب والأخلاق	زكي مبارك :
الصوفية	سميع عاطف الزين :
حاضر العالم الإسلامي	شكيب أرسلان :
صديق بن حسن الفتوحى : أبجد العلوم	عامر التجار :
الطرق الصوفية	عبد الله سلوم السامرائي : الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية
حقائق عن التصوف	عبد القادر عيسى :
الأنوار الرحمانية لهداية الفرق التيجانية	عبد الرحمن الإفريقي :
الإنسان الكامل في الإسلام	عبد الرحمن بدوي :
شخصيات قلقة في الإسلام	
تاريخ التصوف الإسلامي	
من تاريخ الإلحاد	
شطحات صوفية	
الصلة بين التصوف والتشييع ط. دار المعارف	د. مصطفى الشيشي :
هذه هي الصوفية ط. دار الكتب العلمية	عبد الرحمن الوكيل :
علي بن محمد الدخيل الله : التيجانية — نشرة دار طيبة	علي بن محمد الدخيل الله :
مشكلة الأفكار	مالك بن نبي :
موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين	مصطفى صبري :
تاريخ الإمام	رشيد رضا :

برهان الدين	الباعي :
تنبيه الغبي لتكفير ابن عربى : تحقيق الوكيل	
أبو الريحان محمد بن أحمد	البيروني :
تحقيق ماللهند من مقوله : ط. حيدر آباد	
عبد القادر	الجيلاني :
الفتح الربانى	
التعريفات	الجرجاني :
محمد بن أحمد بن عثمان	الذهبي :
سير أعلام النبلاء : ط. مؤسسة الرسالة	
الطبقات	ابن سعد :
أبو إسحاق ابراهيم بن موسى	الشاطبي :
الإغتصام من البدع	
المواقف	
الإفادات والإنشادات	الشيباني :
الإمام محمد بن الحسن	
الكسب : تحقيق سهيل زكار	
محمد بن علي	الشوكانى :
قطر الولي على حديث الولي : تحقيق ابراهيم	
هلال	
عبد الوهاب	الشعراني :
الطبقات الكبرى	
اعتقادات فرق المسلمين	الرازي :
الحسين بن محمد	الراغب الأصفهانى :
الذريعة إلى مكارم الشريعة	

المحتوى

٦	المقدمة
١٢	الباب الأول : تطور الصوفية
١٤	الفصل الأول : المجتمع الإسلامي وظهور طبقة العباد
٢٠	الفصل الثاني : أوائل الصوفية
٣١	الفصل الثالث : المصطلحات والعموز
٤٠	الفصل الرابع : الصوفية الوجودية
٤٩	الباب الثاني : بدع الصوفية
٥١	الفصل الأول : البدع العلمية
٥٦	المبحث الأول : الشريعة والحقيقة
٥٩	المبحث الثاني : الحقيقة المحمدية
٦٣	المبحث الثالث : وحدة الأديان
٧٠	المبحث الرابع : الأولياء والكرامات
٧٣	المبحث الخامس : الأقطاب والأوتاد
٧٨	المبحث السادس : الشطح واللامعقول
٨٣	الفصل الثاني : البدع العملية
٨٦	المبحث الأول : تريرية ذليلة
٨٩	المبحث الثاني : المتضوفة وعلم الحديث
٩٢	المبحث الثالث : البطالة والإنحلال
٩٦	المبحث الرابع : السماع والذكر
١٠١	المبحث الخامس : المتضوفة والجهاد
١٠٨	الصوفية اليوم (عالم الصوفية)
١١٥	كلمة أخيرة
	ملاحق البحث
	ثبات المصادر

حجـة الله البالـغـة
الحضـارة الإـسـلـامـية فـي القرـن الرـابـع الهـجـري
تأـمـلات فـي سـلـوك الإـنـسـان — نـشـرة جـامـعـة
الـدـوـلـ الـعـرـبـيـة

ولي الله الدهلوـي :
أـدمـ مـترـ :
الـكـسـيسـ كـارـيلـ :